الرَّدُّ على الرفاعي والبوطي

في كذبهما على أهل السنة
ودعوتهما إلى البدع والضلال

إعداد
عبد المحسن بن حمد العباد البدر

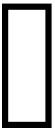

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام الأتَمَّان الأكملان على سيِّد المرسَلين وإمام المتقين، نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تَبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فقد اطَّلعتُ على أوراقٍ للكاتب الأستاذ يوسف هاشم الرِّفاعي سوَّدها بِما زعمَ أنَّه نصيحةٌ لعلماء نَجد، أَفرَغ فيها ما في جُعبتِه وجُعَبِ الذين تعاونوا معه على الإثمِ والعدوان، من تهجُّمٍ على مَن زعم نُصحَهم وكذبٍ عليهم ودعوةٍ إلى البدعِ والضلال، وكأنَّه لَم يَجد في بلدِه الكويت مَن يَشُدُّ أَزرَه على وِزرِه، فيَمَّم نحوَ الشام ليجِد في الدكتور

محمد سعيد رمضان البوطي بُغيتَه المطلوبة وضالَّتَه المنشودة، فيُقدِّمَ لأوراقِه، ويتَّفِقَ معه في الوقيعة بالمتمسِّكين بالكتاب والسُنَّة وما كان عليه سلف الأمَّة.

وقبل مناقشتِه في كثير مِمَّا اشتَملت عليه أوراقُه أُشيرُ إجمالاً إلى أمور هي:

1 ـ جعل الكاتبُ ما زعمه نصيحةً موجَّهاً لعلماء نجد، وهو في الحقيقةِ موجَّهٌ لكلِّ ملتزمٍ بالكتاب والسُنَّة وما كان عليه سلفُ الأمَّة.

2 ـ أَورَدَ الكاتبُ أموراً عابَها على مَن زعم نصحَهم، وهي من الحقِّ الذي لَم يُوفَّق للهدايةِ إليه ـ هداه الله وأصلح حالَه ـ.

3 ـ أورَدَ أموراً هي من البدعِ ومُحدَثات الأمور عاب على مَن زعم نصحَهم عدمَ الأخذِ بها، ودعوتَهم إلى تركِها والابتعادِ عنها.

4 ـ عاب على مَن زعـم نصـحَهم أمـوراً لا حقيقةَ لها، وهم بُرآءُ منها.

5 ـ أورَد أموراً لاحَظَها على فردٍ أو أفــرادٍ وأسندها إلى مَن زعـم نُصـحَهم؛ ليُكثِّـر بـذلك خصومَه يوم القيامة.

6 ـ شمل الكاتبُ بعطفِه وشـفقتِه الفِـرَقَ المختلفــة، بــل حــتى السّــحَرةَ ومُهربــيِّ المخدرات، ولَم يبخَل بذلك إلاَّ على مَن زعـم نصحَهم، وكـأنَّه ليـس أمـامَه فـي الميـدانِ إلاَّ مَن يتَّبع الكتاب والسُنَّة وما كـان عليـه سـلف هذه الأمة.

7 ـ تعـرَّض فـي أوراقِـه للنيـل مـن حُكَّـام المملكــة وقُضــاتِها ومُفتيهــا وبعــضِ الأئمَّــة والخُطبــاء، وكيفيــة القبــول فــي الجامعــات، وتعيين الخرِّيجين والـدعاة وغيـر ذلـك، فكـان بذلك مُجيداً لِما يُقال له: التدخُّل في الشؤون

الداخلية.

وذكّرني صنيعُه هذا كلمةً قالَها الإمامُ يحيى بن معين ـ رحمه الله ـ في أحد الرواة، حيث قال: ((يُفسدُ نفسَه، يدخل في كلِّ شيء))!

8 ـ كلُّ ما في أوراق الكاتب يُوافقه عليه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، كما ذكر ذلك في تقديمِه للأوراق، وكلُّ ردٍّ على الكاتبِ هو ردٌّ على المقدِّم لها.

وهذا أوانُ الشروع في مناقشة الكاتب في بعض ما اشتملت عليه أوراقُه، وما يُذكر دليلٌ على ما لَم يُذكر.

1 ـ قال الكاتب: ((كان أسلافُكم حنابلة المذهب يتَّبعون ويُقلِّدون مذهبَ الإمام الشيخ أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه، ابتداءً

من ابن تيمية وابن القيم)).

ثم ذكر جماعـةً مـن الحنابلـةِ منهـم: ابـن قدامــة المقدســي، وابــن هُـبيرة، ثـمَّ قـال: ((وختاماً بالشيخ محمد بن
عبــد الوهــاب وأولاده والمفــتي محمــد بــن إبراهيم وابن حميد
ـ رحمهـم اللـه تعـالى جَميعـاً ــ ولكنَّكـم الآن تخلَّيتــم عــن هــذا المــذهب، وقلتُــم (إنَّكــم سلفيُّون) ... وأنَّكم تلتزمون بالكتاب والسـنة فقط ...)).

ويُجاب عن كلامه من وجوه:

الأول: أنَّه ذكر ابنَ قدامة وابنَ هبيرة بعد ابن تيميـة وابـن القيـم وابـن رجـب وغيرهـم، والواقع أنَّهما متقدِّمان عليهـم؛ لأنَّ وفـاةَ ابـن تيمية سنة (728هـ)، أمـا ابـن قدامـة فكـانت وفاتُه سنة (620هـ)، وقبله ابـن هـبيرة كـانت

وفاته سنة (560هـ)، فلَم يُميِّز الكاتبُ بين مَن هو متقدِّمٌ ومَن هو متأخِّرٌ!

الثاني: أنَّ علماءَ نجد الذين وصفهم الكاتبُ بأنَّهم تَخلَّوا عن المذهب الحنبلي لَم يتخلَّوا عنه كما زعم، بل دَرَسوه ودرَّسوه، فالشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحِمه الله ـ كان يُدرِّس في كلية الشريعة بالرياض الروضَ المربع شرح زاد المستقنع، وأنا مِمَّن دَرَسَ عليه، والشيخ ابن عثيمين يُدرِّس زاد المستقنع، وقد طُبع من شرحه عدةُ مجلدات، وكذلك غيرهما، بل إنَّ الكاتبَ وغيرَه يسمعون في إذاعة القرآن الكريم شرحَ الشيخ صالح الفوزان « زاد المستقنع »، وشرح الشيخ عبد الرحمن الفريان « آداب المشي إلى الصلاة » للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وعلى هـذا فهُـم لَـم يتخلَّـوا عـن المـذهب الحنبليِّ، ولكنَّهم تَخلَّوا عن التعصُّـب لـه، وإذا وُجـد الـدليلُ الصـحيح علـى خلاف المـذهب صاروا إلى ما دلَّ عليه الدليلُ.

وإذاً فلا فـرقَ بيـن الـذين زعـم نصـحَهم، ووصفهم بأَنَّهم تَخلَّوا عـن المـذهب الحنبلـيِّ، وبين مَـن وصـفهم باتِّبـاعه كـابن تيميـة وابـن القيم وابن رجب وغيرِهم، فـإنَّ الكـلَّ درسـوا المــذهب الحنبلــيَّ واســتفادوا مــن كتــب المـذهب، وإذا تـبيَّن أنَّ الـدليلَ علـى خلافـه صاروا إليه.

الثالث: أنَّ هذا المسلكَ الذي عليه علماء الحنابلــة الملــتزمون بالــدليل مــن الكتــاب والسُّـنَّة هـو الـذي عليـه أهـلُ الإنصـافِ مـن مذاهب الأئمَّـة الآخريـن، ومـن أمثلـة كلامهـم في ذلك:

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (1/306): « قال أصبغ: المسحُ عن النبيِّ ﷺ وعن أكابر أصحابه في الحضَر أثبتُ عندنا وأقوى من أن نتَّبع مالكاً على خلافه ».

وقال في الفتح (1/276):ـ « المالكيَّةُ لا يقولون بالتتريب في الغسل من ولوغ الكلب، قال القرافيُّ منهم: قد صحَّت فيه الأحاديث، فالعجبُ منهم كيف لَم يقولوا بها! ».

وقال في الفتح (3/189):ـ « قال ابن العربيُّ المالكي: قال المالكيَّةُ: ليس ذلك ــ أي الصلاة على الغائب ــ إلاَّ لِمحمَّدٍ ﷺ، قلنا: وما عمل به محمدٌ ﷺ تعمَلُ به أمَّتُه؛ يعني لأنَّ الأصلَ عدم الخصوصية، قالوا: طُويت له الأرضُ وأُحضرت الجنازةُ بين يديه! قلنا: إنَّ ربَّنا عليه لقادرٌ، وإنَّ نبيَّنا لأهلٌ لذلك، ولكن لا تقولوا إلاَّ ما رويتم، ولا تَخترعوا حديثاً من

عند أنفسكم، ولا تُحـدِّثوا إلاَّ بالثابِتـات ودَعُـوا الضعافَ؛ فإنَّها سبيلُ إتلاف إلى مـا ليـس له تَلاف)). وانظر: نيل الأوطار للشــوكاني (4/54).

وقال ابنُ كثير ـ رحمـه اللـه ــ فـي تعييـن الصـلاة الوسـطى: ((وقـد ثبتـت السُـنَّةُ بأنَّهـا العصرُ، فتعيَّن المصـيرُ إليهـا))، ثـمَّ نقـل عـن الشافعيِّ أنَّه قال: ((كلُّ مـا قلـتُ فكـان عـن النبيِّ بخلاف قولي مِمَّا يصِحُّ، فحديثُ النـبيِّ أولَـى، ولا تُقلِّــدوني، وقـال أيضـاً: إذا صـحَّ الحـديثُ وقلـتُ قـولاً، فأنـا راجـعٌ عـن قـولي وقائلٌ بذلك))، ثمَّ قال ابنُ كـثير: ((فهـذا مـن سيادتِه وأمانتِه، وهذا نَفَسُ إخوانِه من الأئمَّــة رحمهم الله ورضي الله عنهم أجمعين، آمين، ومن هنا قطع القاضي الماوَردي بـأنَّ مـذهبَ الشافعيّ ـ رحمه اللـه ــ أنَّ صـلاةَ الوسـطى

هـي صـلاةُ العصـر ــ وإن كـان قـد نـصَّ فـي الجديد وغيره أنَّها الصـبح ــ لصـحَّة الأحـاديث أنَّهـا صـلاةُ العصـر، وقـد وافقـه علـى هـذه الطريقةِ جماعةٌ مـن مُحـدِّثي المـذهب، وللـه الحمد والمِنَّـة)). تفسـير ابـن كـثير (1/294) عند قوله تعالى: {**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى**}.

وقال ابنُ حجر في الفتح (2/222): ((قال ابنُ خزيمة فـي رفـع اليـدين عنـد القيـام مـن الركعتين: هو سنَّةٌ وإن لَـم يـذكره الشـافعي، فالإسـنادُ صـحيح، وقـد قـال: قولـوا بالسـنَّة ودَعُوا قولي)).

وقال في الفتح أيضاً (3/95):ـ ((قال ابـنُ خزيمة: ويَحرُم على العالم أن يُخـالف السـنَّة بعد علمِه بها)).

وقال في الفتح (2/470): ((روى البيهقي في المعرفة عن الربيع قال: قال الشافعيُّ: قد روي حديث فيه أنَّ النساءَ يُتركن إلى العيدين، فإن كان ثابتاً قلتُ به، قال البيهقي: قد ثبت وأخرجه الشيخان ــ يعني حديث أمِّ عطية ـ فيلزم الشافعيَّة القول به)).

وذكر النووي في شرح صحيح مسلم (4/49) خلافَ العلماء في الوضوء من لحم الإبل، وقال: ((قال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في هذا ـ أي الوضوء من لحم الإبل ـ حديثان: حديث جابر وحديث البراء، وهذا المذهبُ أقوى دليلاً وإن كان الجمهور على خلافه)).

وقال ابن حجر في شرح حديث ابن عمر: ((أمرتُ أن أقاتِل الناس)) في قصَّة مناظرة

أبي بكر وعمر في قتال مانعي الزكاة، قال: ((وفي القصةِ دليلٌ على أنَّ السُّنَّة قد تخفى على بعض أكابر الصحابة ويطَّلع عليها آحادُهم، ولهذا لا يُلتفتُ إلى الآراء ـ ولو قَوِيت ـ مع وجود سُنَّة تخالفُها، ولا يُقال: كيف خَفيَ ذا على فلان؟!)). الفتح (1/76).

وقال في الفتح (3/544):ـ ((وبذلك ــ أي بإشعار الهدي ــ قال الجمهور من السلف والخلف، وذكر الطحاويُّ في اختلاف العلماء كراهتَه عن أبي حنيفة، وذهب غيرُه إلى استحبابه للاتِّباع، حتى صاحباه محمد وأبو يوسف، فقالا: هو حسن)).

الرابع: أنَّ أهلَ السنَّة المتَّبعين لنصوص الكتاب والسُّنَّة أسعدُ من غيرِهم باتِّباع الأئمَّة الأربعة؛ لأنَّهم المنَفِّذون لوصاياهم، قال ابن

القيم في كتاب الروح (ص:395 ــ 396):
« فمَن عرضَ أقوال العلماء على النصوص ووَزَنها بها وخالف منها ما خالف النصَّ لَم يُهدِر أقوالَهم ولَم يهضِم جانبَهم، بل اقتدى بهم؛ فإنَّهم كلَّهم أَمروا بذلك، فمتَّبِعُهم حقًّا مَن امتثلَ ما أَوْصَوا به لا مَن خالفهم؛ فخِلافُهم في القول الذي جاء النَّصُّ بخلافه أسهل من مخالفتِهم في القاعدة الكليَّة التي أَمروا ودَعَوا إليها من تقديم النصِّ على أقوالهم، مِن هنا يتبيَّن الفرقُ بين تقليد العالِم في كلِّ ما قال وبين الاستعانة بفهمِه والاستضاءةِ بنور علمِه، فالأول يأخذ قولَه من غير نظرٍ فيه ولا طلبٍ لدليله من الكتاب والسُّنَّة، بل يجعل ذلك كالحبل الذي يُلقيه في عُنقِه ويُقلِّده به، ولذلك سُمِّيَ تقليداً، بخلاف مَن استعان بفهمِه، واستضاءَ بنورِ علمِه في

الوصول إلى الرَّسـول صـلواتُ الله وسـلامُه عليه، فإنَّه يجعلُهم بمنزلةِ الدليل إلـى الـدليل الأول، فـإذا وصـلَ إليـه اسـتغنى بـدلالته عـن الاستدلال بغيره، فمَـن اسـتدلَّ بـالنَّجم علـى القبلة فإنَّه

إذا شاهدها لَم يبـقَ لاسـتدلالِه بـالنجم معنـى، قال الشافعيُّ: ((أجمـع النَّـاسُّ علـى أنَّ مَـن استبانت له سنَّةُ رسول الله لَم يكـن لـه أن يَدَعها لقول أحدٍ)).

الخامس: أنَّ أهلَ السنَّة الآخذين بوصـايا الأئمَّة باتِّباع ما دلَّ عليه الدليل ــ ومنهـم مَـن زعم الكاتب نصـحَهم ــ يوافقـون الأئمَّـةَ فـي أصـول الـدِّين، ويسـتفيدون مـن فقههـم فـي الفـروع، بخلاف كـثيرٍ مـن المتعصِّـبين لهـم؛ فإنَّهم يُخالفونهم في العقيدة فيتَّبعون مـذهبَ

الأشاعرة، ويُقلِّدونهم في الفروع.

* * *

2 ـ أنكـر الكـاتِبُ علـى مَـن زعـم نصحَهم عدمَ السماح بإدخال كتـاب ((دلائـل الخيرات)) للجزولي إلى البلاد السعودية.

ويُجاب بأنَّ كتاب دلائل الخيرات مشـتملٌ على صلواتٍ على النبيِّ محدَثة، وفيها غُلُـوٌّ، وما ثبت في الصحيحين وغيرهما من كيفيـات للصلاة علـى النَّبِـيّ فيهـا غُنيـةٌ وكفايـة عمَّـا أحـدثه المحـدِثون، ولا شـكَّ أنَّ مـا جـاءت بـه السُنَّة وفَعَلَه الصحابةُ الكـرام والتـابعون لهـم بإحسـانٍ هـو الطريـقُ المسـتقيمُ والمنهـجُ القويم، والفائدةُ للآخِذِ به محقَّقـةٌ، والمضـرَّةُ عنه منتفيةٌ، وقد قال عليـه الصـلاة والسـلام:

((عليكم بسُنَّتي وسنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديين مِن بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ)).

وكتاب دلائل الخيرات اشتمل على أحاديث موضوعة وكيفيات للصلاةِ على النبيِّ فيها غُلُوٌّ ومُجاوَزةٌ للحدِّ ووقوعٌ في المحذور الذي لا يرضاه اللهُ ولا رسولُه ، وهو طارئٌ لَم يكن من نهج السابقين بإحسان، قال الشيخ محمد الخضِر بن مايابى الشنقيطي في كتابه ((مشتهى الخارف الجاني في ردِّ زلقات التجاني الجاني)): ((فإنَّ الناسَ مولَعةٌ بحبِّ الطارئ، ولذلك تراهم يَرغبون دائماً في الصلوات المرويَّة في دلائل الخيرات ونحوه، وكثيرٌ منها لَم يثبت له سندٌ صحيح، ويَرغبون عن الصلوات الواردةِ عن النبيِّ في صحيح

البخاري)).

ومِمَّا ورد في دلائل الخيرات من الكيفيات المنكرة للصلاة على النَّبِيِّ قولُ مؤلِّفه: ((اللَّهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيءٌ، وارحم محمداً وآل محمدٍ حتى لا يبقى من الرحمةِ شيءٌ، وبارِك على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركة شيءٌ، وسلِّم على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من السلام شيءٌ)).

فإنَّ قولَه: (حتى لا يبقى من الصلاة والرحمة والبركة والسلام شيء)، مِن أسوإِ الكلام وأبطلِ الباطلِ؛ لأنَّ هذه الأفعالَ لا تنتهي، وكيف يقول الجزولي: حتى لا يبقى من الرحمة شيء، والله تعالى يقول: {**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**}؟!

وقال في (ص:71):ـ ((اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمد بحر أنوارِك، ومعدن أسرارك، ولسان حُجَّتك، وعروس مملكتك، وإمام حضرتك، وطراز ملكك، وخزائن رحمتك ... إنسان عين الوجود، والسبب في كلِّ موجود ...)).

وقال في (ص:64): ((اللَّهمَّ صلِّ على مَن تفتَّقت من نوره الأزهارُ ... اللَّهمَّ صلِّ على من اخضرَّت من بقيَّة وضوئه الأشجار، اللَّهمَّ صلِّ على من فاضت من نورِه جميع الأنوار ...)).

فإنَّ هذه الكيفياتِ فيها تكلُّفٌ وغُلُوٌّ لا يرضاه المصطفى ، وهو الذي قال: ((لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، إنَّما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله)). أخرجه

البخاري في صحيحه.

وقال في (ص:144، 145): « اللَّهمَّ صلِّ علـى محمـد وعلـى آل محمـد مـا سـجعت الحمائم، وحمَت الحـوائم، وسـرحت البهـائم، ونفعـت التمـائم، وشُـدَّت العمـائم، ونمـت النوائم ... ».

فإنَّ في قوله: « ونفعت التمـائم » إشـادة بالتمـائم وحثًّـا عليهـا، وقـد حرَّمهـا فقـال: « مَن تعلَّق تَميمة فلا أتَمَّ الله له ».

ومِمَّـا ورد فيـه مـن الأحـاديث الموضـوعة قوله في (ص:15):

« وروي عنه أنَّه قال: « مَـن صـلَّى علـيَّ صلاةً تعظيماً لِحَقِّي خلق الله عـزَّ وجـلَّ مـن ذلك القول مَلَكـاً لـه جنـاح بالمشـرق والآخـر بـــالمغرب، ورِجلاه مقرورتـــان فـــي الأرض

السابعة السفلى، وعُنُقُه ملتويةٌ تحت العرش يقول الله عزَّ وجلَّ له: صلِّ على عبدي كما صلَّى على نبيِّي، فهو يُصلِّي عليه إلى يوم القيامة)).

وقال في (ص:16): ((وقال النبي ﷺ: ((ما من عبدٍ صلَّى عليَّ إلاَّ خرجت الصلاةُ مسرعة من فيه، فلا يبقى بَرٌّ ولا بحرٌ ولا شرقٌ ولا غربٌ إلاَّ وتَمرُّ به وتقول: أنا صلاةُ فلان ابن فلان صلَّى على محمدٍ المختار خير خلق الله، فلا يبقى شيءٌ إلاَّ وصلَّى عليه، ويُخلقُ من تلك الصلاة طائرٌ له سبعون ألف جناح، في كلِّ جناحٍ سبعون ألف ريشة، في كلِّ ريشة سبعون ألف وجه، في كلِّ وجهٍ سبعون ألف فمٍ، في كلِّ فمٍ سبعون ألف لسان، يُسبِّح الله تعالى بسبعين ألف لغة، ويكتب الله له ثوابَ ذلك كلَّه)).

هذان حديثان من أحاديث دلائـل الخيـرات يَصدق عليهمـا قـولُ العلاَّمـة ابـن القيـم فـي كتابه ((المنار المنيف)):

((والأحاديثُ الموضوعة عليها ظُلمـة وركاكـةٌ ومجازفات باردة تُنادي على وضعها واختلاقها))، ثـمَّ ضـرب لـذلك بعـضَ الأمثلـة، ثـم قـال: ((فصل: ونحن نُنبِّه على أمورٍ كُليَّة، يُعرفُ بها كون الحديث موضوعاً، فمنهـا اشـتمالُه علـى أمثـال هـذه المجازفـات الـتي لا يقـول مثلَهـا رسولُ الله ، وهـي كـثيرةٌ جـدًّا، كقـوله فـي الحـديث المكـذوب: مـن قـال لا إلـه إلاَّ الله خلق الله من تلك الكلمـة طـائراً لـه سـبعون ألـف لسـان، لكـلِّ لسـان سـبعون ألـف لغـة يسـتغفرون اللـه لـه، ومَـن فعـل كـذا وكـذا أُعطي في الجنَّة سبعين ألف مدينة، فـي كـلِّ مدينـة سـبعون ألـف قصـر، فـي كـلِّ قصـرٍ

سبعون ألف حوراء، وأمثال هـذه المجازفـات الباردة الـتي لا تخلـو حـال واضـعها مـن أحـد أمرين: إمَّا أن يكون في غاية الجهل والحُمق، وإمَّا أن يكون زنديقاً قصـد التنقيـص برسـول الله بإضافة مثل هذه الكلمات إليه)).

ومن الواضحِ الجَليِّ أنَّ مثلَ هذه الأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله مبايِنَةٌ تَمام المبايَنة لِمـا أوتيَـه مـن جوامـع الكلـم، كقولِه : ((إنَّما الأعمـال بالنيَّـات، وإنَّمـا لكـلِّ امرئ ما نوى))، وقوله : ((دَعْ ما يُريبُـك إلـى مـا لا يُريبُـك))، وقـوله : ((الـ دِّينُ النصـيحةُ، قالوا: لِمَن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتـابه، ولرسـوله، ولأئمَّـة المسـلمين وعـامَّتهم))، وقوله : ((إذا أمرتكـم بشـيءٍ فـأتوا منـه مـا استطعتم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه)).

وبعد هذا الإيضاح والبيان لبعض ما اشـتمل

عليه كتاب ((دلائل الخيـرات)) مـن الأحـاديث الموضوعة، والكيفيات المُحدَثة للصـلاة علـى النبيِّ يتبيَّن أنَّ المنعَ من دخوله المملكة منعٌ فـي مَحلِّـه، وأنَّ فيمـا ثبتـت بـه السُّـنَّةُ عـن رسول الله من بيان كيفية الصلاة عليه مـا يُغنِـي عـن إحـداث المحْـدِثين وتكلُّـف المتكلِّفين.

* * *

3 ـ قال الكاتب: ((ضـيَّقتُم ثـمَّ أوْصـدتُم وأقْفلتُم بابَ النصيحة من المسلمين لأئمَّتهـم وحُكَّامهم وأولي الأمر منهم، وأفتيتُم بمعصـيةِ مَن يُخالفُ ذلك، وعاديتموه، في الوقت الـذي فيه المسلمون وحُكَّامهم بأمَسِّ الحاجـة إلـى الـوعظِ والنصـيحةِ بالحُسـنى، وصـلى اللـه

تعالى على القائل: (الدِّينُ النصيحةُ، قلنا: لِمَن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم))).

والجواب: أنَّ النصحَ للولاة وغيرِهم يكون نافعاً إذا كان سرًّا وبالرِّفق واللِّين، قال الله تعالى للنَّبيَّيْن الكريمَيْن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: {**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**}، وعن عائشة رضي الله عنها، عن النَّبِيِّ قال: ((إنَّ الرِّفقَ لا يكون في شيءٍ إلاَّ زانه، ولا يُنزعُ من شيء إلاَّ شانَه))، رواه مسلم.

وفي الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ــ عن أبي وائلٍ قال: قيل لأسامة ــ هو ابن زيد رضي الله عنهما ـ: لو أتيتَ فلاناً ـ هو عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ فكلَّمتَه؟ قال: إنَّكم

لَتَرونَ أَنِّي لا أُكلِّمه إلاَّ أُسمِعُكم؟ إنِّي أُكلِّمه في السِّرِّ دون أن أفتَح باباً لا أكون أوَّل مَن فتحه)).

قال الحافظ في شرحه: ((أي: كلَّمتُه فيما أَشرتُم إليه، لكن على سبيل المصلحة والأدب في السر، بغير أن يكون في كلامي ما يُثير الفتنةَ أو نحوَها)).

وثبت في مسند الإمام أحمد والسُّنة لابن أبي عاصم ومستدرك الحاكم عن عياض بن غنم رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ قال: ((مَن أراد أن ينصحَ لسلطانٍ بأمرٍ فلا يُبدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيدِه فيخلو به، فإن قَبِل منه فذاك، وإلاَّ كان قد أدَّى الذي عليه له)).

أمَّا إذا خلا النصحُ من الرِّفقِ ولَم يكن سرًّا، بل كان علانيةً، فإنَّه يضُرُّ ولا ينفع، ومن المعلوم أنَّ أيَّ إنسانٍ

إذا كـان عنـده نقـصٌ يُحِـب أن يُنصـحَ برِفـقٍ ولينٍ، وأن يكون ذلك سـرًّا، فعليـه أن يُعامـلَ الناسَ بِمثلِ ما يُحبُّ أن يُعاملوه به.

ففي صحيح مسلم في حديث طويـل عـن عبـد الله بـن عمـرو بـن العـاص رضـي اللـه عنهمـا أنَّ النَّـبيَّ قـال: ((فمَـن أحـبَّ أن يُزحزَح عن النـار ويُـدخل الجنَّـة فلتـأتِه منيَّتُـه وهـو يـؤمن بالله واليـوم الآخـر، وليـأتِ إلـى الناس الذي يُحبُّ أن يُؤتى إليه)).

والنُّصحُ بالطريقـة الأولـى هـو المشـروع، وهو الذي يحصلُ بـه النفـعُ والفائـدةُ، ولا أحـد يمنع هذا، بل لا يُستطاعُ منعُه؛ لأنَّه من الأمـور الخفيَّة، فمِن أين للكاتب أنَّ مَن زعم نصحهم أفتوا بمنع ذلك؟! وهـل أحـدٌ منهـم حـالَ بيـن الكاتب وبين النصحِ لـولاة الأمـر فـي بلـده أو غيرهم؟!

وأمَّا إذا كان النُّصحُ صدرَ من أفرادٍ في نفوسهم شيءٌ على مَن زعموا نصحَه، فكتبوا نصيحةً بذلك، وجمعوا توقيعاتٍ عليها، ثمَّ وصلت إلى إذاعة لندن، وإلى رويبضات الزَّمن في لندن قبل أن تصلَ إلى مَن أُريد نصحُه، فهذا النُّصحُ غيرُ سائغٍ، ولا لومَ على مَن أفتى بكونه غيرَ سائغ.

والعلماءُ الذين زعم الكاتبُ نصحَهم وكذا طلبة العلم في بلادهم ينصحون لولاة الأمور في بلادهم وغير بلادهم، بالطريقة الأُولَى المشروعة، دون الطريقة الثانية، وبهذه المناسبة يجِد صاحبُ هذا الرَّدّ على الكاتب أنَّه لا بأس من الإشارةِ إلى شيء من ذلك، فعندما حصل احتلالُ حُكَّام العراق للكويت قبل عشر سنوات، وكانت حكومةُ الكويت في ذلك الوقت في مدينة الطائف، كتبتُ

لِسُمُوِّ أمير الكويت كتاباً جاء فيه:

« فإنَّ ما حدث للكويت حكومة وشعباً في ليلة الحادي عشر من شهر المحرَّم هذا العام (1411هـ) من هجوم مباغتٍ قام به طغمة حزب البعث الحاكم في العراق بزعامة المجرم الأثيم صدام حسين، وما ترتَّب على ذلك من هلاك ودمار وانتهاك أعراض وسلب أموال وتشريد للرعاة والرعية، إنَّ ما حدث لا شكَّ أنَّه مصيبةٌ كبرى وكارثةٌ عظمى أزعجت كلَّ مسلمٍ وأحزنت كلَّ عاقل، وأظهرت بوضوح مدى خطر العدوِّ الذي يظهر نفسه في صورة الصديق، والله المسؤول أن ينصر المظلوم ويدحر الظالم، وأن تعود إلى الكويت سلامته وأمنه وأن يعود أهله إليه عوداً حميداً.

ولا يخفى على سُموِّكم وأنتم تقرؤون

القــرآن أنَّ اللــه بيَّــن فــي كتــابه الأســبابَ الحقيقية لحصول المصائب ووقوع الكــوارث، والأســبابَ الحقيقيــة لحصــول النِّعــم وبقائهــا، والتمكين فــي الأرض والنصــر علــى الأعــداء، فقال: {**وَمَا أَصَـابَكُمْ مِـن مُصِـيبَةٍ فَبِمَـا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**}، وقــال: {**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّـى يُغِيِّـرُوا مَـا بِأَنفُسِـهِمْ**}، وقــال: {**يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللـهَ يَنصُـرْكُمْ وَيُثَبِّـتْ أَقْدَامَكُمْ**}، وقــال: {**وَلَيَنصُرَنَّ اللـهُ مَـن يَنصُرُهُ إِنَّ اللـهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيـزٌ الَّـذِينَ إِن مَكَّنَّــاهُمْ فِــي الأَرْضِ أَقَــامُوا الصَّــلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِـالمَعْرُوفِ وَنَهَـوْا عَنِ المُنكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**}.

والله تعالى يبتلــي بــالنِّعم، ويبتلــي بــالنِّقم كما قال تعالى: {**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّـرِّ وَالخَيـرِ**

فِتْنَـةً وَإِلَيْنَـا تُرْجَعُـونَ}، وهـذه النَّكبـةُ العظيمـة الـتي حلَّـت بـالكويت هـي ابتلاءٌ وامتحانٌ من الله لأهلِـه، وفيهـا عِـبرةٌ وعِظـةٌ لهم ولغيرِهم؛ ليُفكِّـرَ كـلُّ عاقـل فـي أسـباب سـعادة الـدنيا والآخـرة، فيأخـذ بهـا ويسـلك الطـرقَ الموصـلة إليهـا، ويحـذر كـلُّ ناصـح لنفسِه سلوكَ كلّ طريق يُـؤدِّي بصـاحبِه إلـى سخط الله وعقـوبتِه، ومـن المعلـوم أنَّ تلـكَ الأسبابَ ترجع إلى امتثال أوامر الله ورسـولِه واجتنـاب مـا نهـى اللـه عنـه ورسـولُه ، والالتزام بشرع الله، ولا شـكَّ أنَّ المسـؤوليَّةَ العُظمى في كلِّ قُطرٍ من أقطـارِ المسـلمين تقع على وُلاة الأمر فيـه الـذين يُمكنُهـم بـإذن اللـه وتـوفيقه تطـبيقُ شـريعة اللـه وحكـم شعوبهم بكتـاب ربِّهـم وسُـنَّةِ نـبيِّهم محمـد ، ونبـذ القـوانين الوضـعيَّة الوضـيعةِ، واللـه

المسؤول أن يُنهيَ هذه الفتنة التي جاءت من العراق على خير، لكن ماذا بعد انتهاء الأزمة؟

إنَّ الخيرَ لكم وللشعب الكويتي أن يحصُلَ منكم العزم والتصميم على أن يكون شكرُكم لله على رفع البلاء عنكم ودحر المعتدى عليكم أن تُحكِّموا شريعة الله، وأن يكون وضع الكويت فيما بعد انتهاء الأزمة غيرَه قبلها، وذلك بالالتزام بالحقِّ والهدى الذي جاء به المصطفى .

وقبل ثلاثة عشر عاماً في بداية تولِّي سمُوِّكم إمارة دولة الكويت بعثتُ لكم الرسالةَ المرفق صورتها وفيها تذكير سُمُوِّكم بالواجب عليكم في ولايتِكم، وأسأل الله أن يَكشف الغُمَّة، ويقطع دابرَ الفتنة، وأن يُوفِّقكم لِما تُحمدُ عاقبته في الدنيا والآخرة، والسلام عليكم ورحمة

الله وبركاته)).

والرسالة المشار إليها هي بتاريخ 6/2/1398هـ وقد جاء فيها:

((ومِمَّا هو معلومٌ لسُمُوِّكم أنَّ واجبَ مَن يتولَّى أمر المسلمين في قطر من أقطارهم أن يُقيم فيهم شرعَه، ويقفَ بهم عند حدوده وفاءً بمسؤوليَّة ولايتِه أمام ربِّه، واقتداء بما كان عليه سلفُنا الصالح إذا ولي أحدهم أمرَ المسلمين، وأنَّ ذلك هو الطريق الوحيد لعلاج حال المسلمين وسعادتهم في دنياهم وفوزهم في أخراهم، فما أصاب المسلمين مِمَّا أصابهم ومكَّن منهم أعداءهم إلاَّ بسبب إعراضهم عن هدى ربِّهم وتَنَكُّبهم عن صراطه المستقيم، واتِّباعهم السُبل الأخرى التي تفرَّقت بهم عن سبيله، وهم أحوجُ ما يكونون إلى حُكَّام يعودون بهم إلى سبيل ربِّهم،

ويَحملونهم على اتِّباع أوامره واجتناب نواهيه، ويحكمونهم بشرعه، فيستعيدون عزَّتَهم ومجدَهم ومكانتَهم بين الأمم، كما وصفهم الله عزَّ وجلَّ: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**}، {**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**}، {**وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**}.

وإنَّ ما عُرف فيكم يا صاحب السُموِّ من عقل راجح وفِطنةٍ وحكمة، وبصيرة وبُعد نظر ليُقوِّي الرجاء في أن يتحقَّق في عهدكم لشعب الكويت كلُّ ما رَجوه من خير وتقدُّم وازدهار في ظلِّ حياة إسلامية قائمة على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتطبيق شريعتِه في دستور الدولة وقوانينها ونظمها

وتعليمها وسائر شؤونها.

تـولاَّكم اللـه عـزَّ وجـلَّ ورعـاكم وأمـدَّكم بتـوفيقه وأعـانكم علـى مـا فيـه العـزَّة لـدينه والخيـر لعبـاده، إنَّـه سـميع مجيـب، والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته)).

وأول رسالة نصح لوَلِيِّ أمـرٍ كـانت للملِـك فيصــل رحمــه اللــه، بعثتُهــا فــي تاريــخ (2/10/1383هــ)، وكـانت إجـابته عليهـا قبـل مُضيِّ نصف شهر، بكتاب هذه صورته:

وقد سألني قبل عـدَّة سـنوات ــ وأنـا فـي مسجد الرسول ـ سـائلٌ يقـول: إنِّـي رأيـتُ أناساً يُصلُّون فرادى إلى الجهـة الخلفيـة مـن مسـجد القبلـتين، فصـليتُ ركعـتين إلـى تلـك الجهة؟!

وهذه هي النتيجة التي تـترتَّب علـى رغبـة الكاتب فـي إيجـاد علامـة إلـى القبلـة الأولـى المنسوخة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

7 ـ قــال الكــاتبُ: ((لا يجــوز اتِّهــامُ المسـلمين الموحِّـدين الـذي يُصـلُّون معكـم ويَصــومون ويُزكُّــون ويَحُجُّــونَ الــبيتَ مُلبِّيــن مُردِّدين: (لبَّيك اللَّهمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لـك لبَّيك، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لك والملك، لا شريك لك)، لا يجـوز شـرعاً اتِّهـامُهم بالشِّـرك، كمـا

تطفَح كتبُكم ومنشوراتكم، وكما يجأرُ خطيبُكم يوم الحجِّ الأكبر من مسجد الخيف بِمِنى صباح عيد الحُجَّاج وكافة المسلمين، وكذلك يُروِّعُ نظيرُه في المسجد الحرام يوم عيد الفطر بهذه التهجُّمات والافتراءات أهلَ مكة والمعتمرين، فانتهوا هداكم الله تعالى!

وترويعُ المسلم حرامٌ، لا سيما أهالي الحرمين الشريفين، وفي هذا المعنى نصوصٌ شريفةٌ صحيحة)).

وقال أيضاً: ((لقد كفَّرتُم الصوفية ثم الأشاعرة، وأنكرتم واستنكرتُم تقليدَ واتباعَ الأئمة الأربعة (أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل) في حين أنَّ مُقلِّدي هؤلاء كانوا ولا زالوا يُمثِّلون السوادَ الأعظم من المسلمين، كما أنَّ المنهجَ الرَّسميَ لدولتِكم

والذي وَضعه الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يَنصُّ على اعتماد واعتبار المذاهب الأربعة، فانتهوا هداكم الله تعالى)).

وقال أيضاً: ((... ولكنَّكم تُكفِّرون الصوفيَّة كافَّة، وتَصفونَهم بالابتداع والشرك!!)).

والجوابُ من وجوه:

الأول: أنَّ قولَه في الذين زعم نصحَهم أنَّهم يتَّهمون المسلمين بالشِّرك، وأنَّهم يُكفِّرون الصوفيةَ كافَّة والأشاعرة هو افتراءٌ عليهم، وهم بُرآءُ من ذلك، وعقيدتُهم هي عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وأنَّهم لا يُكفِّرون إلاَّ مَن كفَّره الله ورسولُه، ولا يُكفَّرُ المسلمُ بذنبٍ إلاَّ إذا استحلَّه، وكان ذلك الذنبُ مِمَّا عُلِم من الدِّين تحريمُه بالضرورة، قال الإمامُ الطحاويُّ ـ رحمه الله ـ في عقيدة أهل السنة والجماعة: ((ولا نُكفِّر أحداً من

أهلِ القبلة بذنبٍ ما لَم يستحلَّه)).

والبدعُ تنقسِمُ إلى قسمَين:

ـ بدعةٌ مكفِّرةٌ: كالاستغاثة بالأموات والجِنِّ والملائكةِ ونحوِهم، وطلبِ الحاجات وكشفِ الكُرُبات منهم، قال الله عزَّ وجلَّ: {**أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ءَإِلَـهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**}.

ـ وبدعةٌ مفسِّقةٌ: كالتوسُّلِ إلى الله بالأموات والملائكةِ ونحوهم.

والصوفية المذمومون الذين يلهَج بهم الكاتب من جملة أهل البِدع، فيهم مَن بدعتُه مكفِّرة، كابن عربي وأضرابِه، ومَن بدعتُه مفسِّقة.

الثاني: أنَّ الذي اشتملتْ عليه كتبُ مَن

زعـم نصـحَهم، وكـذا خطـب الخُطبـاء الـذين أشـار إليهـم، إنَّمـا هـو التحـذيرُ مـن الشِّـرك، والدعوةُ إلـى إخلاصِ العبـادةِ للـه عـزَّ وجـلَّ، وهذه هي وظيفةُ الرُّسُل، كمـا قـال اللـه عـزَّ وجلَّ: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُـوحِي إِلَيْـهِ أَنَّـهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَـا فَاعْبُدُونِ**}، وقال سبحانه وتعـالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**}.

والمسلمون في الحَرَمين وكذا غيرُهم في كلِّ مكانٍ يسمعون الخُطـبَ مـن المسـجدَين الشريفين في مكة والمدينة بواسطة الإذاعة، وليس فيها ـ بِحمد الله ـ ما يُروِّع،
كما زعم الكاتب، بـل فيهـا مـا يَسُـرُّ النفـوسَ ويُثلِجُ الصُّدورَ؛ لأنَّها دعوة إلـى الحـقِّ والهُـدى الذي جاء بـه المصـطفى ، ونسـألُ اللـه عـزَّ

وجلَّ أن يَهديَ قلبَ الكاتب ومَن على شاكلتِه ليَـرَوا الحـقَّ حقًّـا فيتَّبعـوه، والباطـلَ بـاطلاً فيَجتنِبوه.

الثـالث: أمـا قـول الكـاتب عمَـن زعـم نصـحَهم أنَّهـم يُنكـرون ويسـتنكرون التقليـدَ والاتباعَ للأئمَّة الأربعـة، فهـو غيـر صـحيح؛ لأنَّ مَن عنده علـمٌ ومعرفـةٌ بالـدَّليل مـن الكتـاب والسُّنَّة يجبُ عليـه الأخـذُ بالـدليل، كمـا قـال الشافعيُّ رحمه الله: ((أجمع النَّاسُّ علـى أنَّ مَن استبانت له سنَّةُ رسول الله لَم يكن لـه أن يَـدَعها لقـول أحـدٍ))، وقـال ابـنُ خزيمـة: ((ويَحرُم علـى العـالم أن يُخـالف السـنَّة بعـد علمِه بها)). (فتح الباري 3/95)، وقـال أيضـاً فـي رفـع اليـدين عنـد القيـام مـن الركعـتين: ((هو سنَّةٌ وإن لَم يَذْكره الشـافعي، فالإسـنادُ صحيح، وقد قال: قولوا بالسـنَّة ودَعُـوا قـولي

)). (الفتح 2/222).

وأما العاميُّ ومَن لا يتمكَّن من معرفة الدليل فإنَّه يسوغ له التقليد؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد قال: {**فَاتَّقُوا اللَهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**}.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((إنَّ أهلَ السُّنَّة لَم يقُل أحدٌ منهم: إنَّ إجماعَ الأئمَّة الأربعة حُجَّةٌ معصومةٌ، ولا قال: إنَّ الحقَّ مُنحصِرٌ فيها، وأنَّ ما خرج عنها باطلٌ، بل إذا قال مَن ليس من أتباع الأئمة ــ كسفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، ومَن قبلهم من المجتهدين ــ قولاً يُخالف قول الأئمَّة الأربعة، رُدَّ ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، وكان القول الرَّاجحُ هو القول الذي قام عليه الدليل)). منهاج السنة (3/412).

وقال شيخنا شيخ الإسلام العلاَّمة عبد العزيز بن باز
ـ رحمه الله ــ في ردِّه على الصابوني في قوله عن تقليد الأئمة الأربعة: ((إنَّه من أوجب الواجبات)) قال: ((لا شكَّ أنَّ هذا الإطلاقَ خطأٌ؛ إذ لا يجب تقليدُ أحد من الأئمَّة الأربعة ولا غيرهم مهما كان علمُه؛ لأنَّ الحقَّ في اتِّباع الكتاب والسنَّة لا في تقليد أحد من الناس، وإنَّما قُصارى الأمر أن يكون التقليدُ سائغاً عند الضرورة لِمَن عُرِف بالعلم والفضل واستقامة العقيدة، كما فصَّل ذلك العلاَّمةُ ابن القيم ــ رحمه الله ــ في كتابه "إعلام الموقعين"، ولذلك كان الأئمَّة ــ رحمهم الله ـ لا يَرضون أن يُؤخذ من كلامِهم إلاَّ ما كان موافقاً للكتاب والسُّنَّة، قال الإمام مالك رحمه الله: (كلٌّ يُؤخذ من قوله ويُرَدُّ،

إلاَّ صاحب هذا القبر)، يُشير إلى قبر رسول الله ﷺ، وهكذا قال إخوانُه من الأئمَّة في هذا المعنى.

فالذي يتمكَّن من الأخذ بالكتاب والسنَّة يتعيَّن عليه ألاَّ يُقلِّد أحداً من الناس، ويأخذ عند الخلاف بما هو أقرب الأقوال لإصابة الحقِّ، والذي لا يستطيع ذلك فالمشروع له أن يسألَ أهل العلم، كما قال الله عزَّ وجلَّ: {**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**})). مجموع فتاوى ومقالات متنوِّعة (3/52).

وقال شيخنا العلاَّمة محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ــ في كتابه أضواء البيان (7/553 ـ 555): ((لا خلاف بين أهل العلم في أنَّ الضرورةَ لها أحوالٌ خاصة تستوجب أحكاماً غير أحكام الاختيار،

فكلُّ مسلم ألْجأَتْه الضرورةُ إلى شيء إلْجاءً صحيحاً حقيقيًّا فهو في سعةٍ من أمره فيه)) إلى أن قال: ((وبهذا تعلم أنَّ المضطرَّ للتقليد الأعمى اضطراراً حقيقيًّا، بحيث يكون لا قدرة له ألبتَّة على غيره، مع عدم التفريط لكونه لا قدرة له أصلاً على الفهم، أو له قدرة على الفهم وقد عاقَتْه عوائقُ قاهرة عن التعلُّم، أو هو في أثناء التعلُّم، ولكنَّه يتعلَّم تدريجاً؛ لأنَّه لا يقدر على تعلُّم كل ما يحتاجه في وقتٍ واحد، أو لم يَجِد كُفْئاً يتعلَّم منه ونحو ذلك، فهو معذورٌ في التقليد المذكور للضرورة؛ لأنَّه لا مَندوحة له عنه.

وأما القادر على التعلُّم المفرِّط فيه والمقدِّم آراء الرجال على ما علم من الوحي فهو الذي ليس بمَعذور)).

وقال أيضاً (7/555):ـ ((اعلم أنَّ موقفَنا

من الأئمَّة

ـ رحمهم الله ـ من الأربعة وغيرهم هو موقف سائر المسلمين المُنصِفين منهم، وهو موالاتُهم ومحبَّتُهم وتعظيمُهم وإجلالُهم والثناءُ عليهم بما هم عليه من العلم والتقوى، واتباعُهم في العمل بالكتاب والسنة، وتقديمهما على رأيِهم، وتعلُّم أقوالِهم للاستعانة بها على الحق، وترك ما خالف الكتاب والسنة منها.

وأمَّا المسائل التي لا نصَّ فيها، فالصواب النظر في اجتهادهم فيها، وقد يكون اتِّباعُ اجتهادهم أصوبَ من اجتهادنا لأنفسنا؛ لأنَّهم أكثر علماً وتقوى منَّا.

ولكن علينا أن ننظرَ ونحتاطَ لأنفسِنا في أقرب الأقوال إلى رِضى الله، وأحوطها وأبعدِها من الاشتباه؛ كما قال ﷺ: (دَع ما

يَريبُك إلى ما لا يريبُـك)، وقـال: (فمَـن اتقـى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه).

وحقيقة القول الفصل في الأئمة ـ رحمهـم الله ـ أنَّهم من خيار المسلمين، وأنَّهـم ليسـوا معصومين مـن الخطـأ، فكـلُّ مـا أصـابوا فيـه فلهـم فيـه أجـر الاجتهـاد وأجـرُ الإصـابة، ومـا أخطأوا فيه فهم مأجورون علـى كـلِّ حـال، لا يلحقُهم ذمٌّ ولا عيبٌ ولا نقصٌ في ذلك.

ولكـن كتـاب اللـه وسـنَّة نـبيِّه حاكمـان عليهم وعلى أقوالهم، كما لا يخفى.

فلا تَغْلُ في شيءٍ من الأمر واقتصد

كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

فلا تـكُ مِمَّـن يـذُمُّهم وينتقصُـهم، ولا مِمَّن يعتقد أقـوالَهم مغنيـة عـن كتـاب اللـه وسنة رسوله أو مقدَّمة عليهما)). اهـ.

هذه بعض أقوال المحقِّقين من أهل العلـم في حكم التقليد، وعلى هذا فليس هناك إنكارٌ ولا استنكارٌ كما زعـم الكـاتب، بـل إنَّ الشـيخَ العلاَّمة المحدِّث محمد ناصر الدين الألبـاني ــ رحمه الله وهو الذي له نصيبٌ كبيرٌ مـن حِقـد الرِّفاعي والبوطي ـ قد قال في ردِّه على أبي غدَّة:

« إنَّ الانتسابَ إلى أحـدٍ مـن الأئمَّـة كوسـيلة للتعرُّف على ما قد يفـوت طـالبَ العلـم مـن الفقه بالكتاب والسـنَّة أمـرٌ لا بـدَّ منه شـرعاً وقدَراً؛ فـإنَّ مـا لا يقـوم الـواجب إلاَّ بـه فهـو واجـب، وعلـى هـذا جـرى السَّـلفُ والخلـفُ جميعاً، يتلقَّى بعضُهم العلمَ عن بعـض، ولكـن الخلف ـ إلاَّ قليلاً منهم ـ خالف السَّـلفَ حيـن جعل الوسيلةَ غايةً، فأوجب على كلِّ مسلم ــ مهما سَما في العلم والفقه عن الله ورسـوله من بعد الأئمة الأربعة ـ أن يُقلِّدَ واحـداً منهـم،

لا يَميلُ عنه إلى غيره، كما قال أحدهم: وواجبٌ تقليد حَبْرٍ منهم!)).

وهذا الذي قاله الشيخ الألبانيُّ ـ رحمه الله ـ عن المُتعصِّبة للمذاهب قد جاء عن الشيخ أحمد الصاوي في حاشيته على الجلالين عند قوله تعالى: {**وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ**}؛ إذ فهِم الآية فهماً خاطئاً، وبَنَى عليه حكماً من أبطلِ الباطل، أوضح الردَّ عليه شيخُنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في تفسيره أضواء البيان عند قول الله عزَّ وجلَّ: {**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**}، وكلام الصاوي الباطلُ هو قولُه ـ وبئس ما قال ـ: ((ولا يجوز تقليدُ ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قولَ الصحابة والحديثَ الصحيح والآية!! فالخارجُ عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مُضِلٌّ، وربَّما أدَّاه ذلك

للكفر؛ لأنَّ الأخذَ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر!!!)).

وهذا كلام من الصاوي من أسوإ الكلام وأبطل الباطل، ولو بحث أحدٌ عن كلامٍ سيِّءٍ يُنسبُ إلى مسلم قد لا يَجِد أسوأ منه، وقد جاء ذلك نتيجة لتفسيره للقرآن بالرأي والتعصُّب للمذاهب، نسأل الله السلامةَ والعافية.

الرابع: وأمَّا الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فإنَّه على منهج السَّلف، يحترمُ الأئمَّة الأربعة ويُوقِّرُهم، ويُعوِّلُ على الأدلَّة من الكتاب والسنَّة، قال رحمه الله: ((إنَّنا لم نُطِع (ابن عبد الوهاب) وغيره إلاَّ في ما أيَّدوه بقول من كتاب الله وسنَّة رسوله، وقد جعلنا الله ـ أنا وآبائي وأجدادي ـ مُبشِّرين ومُعلِّمين بالكتاب والسنة وما كان عليه

السلف الصالح، ومـتى وجـدنا الـدليلَ القـويَّ في أيِّ مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتَمسَّكنا به، وأمَّا إذا لَم نَجد دليلاً قويًّـا أخـذنا بقول الإمام أحمد)). من تاريـخ البلاد العربيـة السعودية لمنير العجلاني (1/229).

* * *

8 ـ قــال الكــاتبُ: ((تُــرَدِّدون جملــة الحديث الشريف: ((كلُّ بدعة ضـلالة)) بـدون فهم للإنكار على غيركـم، بينمـا تُقِـرُّون بعـضَ الأعمال المخالفة للسُنَّة النَّبوية،
ولا تنكرونها ولا تَعُدُّونها بدعـةً، سـنذكر بعضـاً منها فيما يأتي ...)).

ويُجاب عن هذا من وجوه:

الأول: أنَّ النَّبِــيَّ بيَّــن فــي حــديث العرباض بن سارية أنَّه سـيوجد الاختلافُ فـي

هذه الأُمَّـة، ومـع وجـوده يكـون كـثيراً، حيـث قال: ((فإنَّه مَن يَعِش منكم فسـيرى اختلافـاً كثيراً))، ثم أرشدَ عند وجود هذا الاختلاف إلى الطريق الأمثل والمنهج الأقوم، وهو اتباع السنن

وترك البِدع، فقـال: ((فعليكـم بسُـنَّتِي وسـنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّـوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومُحدثات الأمـور؛ فـإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بدعة، وكلَّ بدعـة ضـلالة))، فـإنَّه رغَّب في السُّنن بقوله: ((فعليكـم بسُـنَّتي ...))، ورهَّب من البدع بقوله: ((وإيَّاكم ومُحدثات الأمـور، فـإنَّ كـلَّ مُحدَثـةٍ بدعـة، وكـلَّ بدعـة ضلالة)).

ومثل ذلـك حـديث ((سـتفترق هـذه الأُمَّـة على ثلاث وسبعين فرقـة، كلُّهـا فـي النَّـار إلاَّ واحدة. قالوا: مَن هي

يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي)).

فقد بيَّن أنَّ أمَّةَ الإجابة ستفترق هذا التفرُّق الكثير، وأنَّه لا ينجو مِن العذاب إلاَّ مَن كان على ما كان عليه الرسول وأصحابُه، وهم الذين يتَّبعون الكتابَ والسنَّةَ وما كان عليه سلفُ الأُمَّة، وقد قال الإمام مالك رحمه الله: ((لن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها)).

وروى الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة بإسنادٍ صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كلُّ بدعة ضلالةٌ وإن رآها الناس حسنة)).

وذكر الشاطبِيُّ في الاعتصام (1/28) أنَّ ابن الماجشون قال: سمعتُ مالكاً يقول: ((مَن ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً

فقد زعم أنَّ محمداً خان الرسالة؛ لأنَّ الله يقول: {**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم**} فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليومَ ديناً)).

وقال أبو عثمان النيسابوري: ((مَن أمَّر السنَّةَ
على نفسِه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهَوَى على نفسِه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة)). انظر: حلية الأولياء (10/244).

وقال سَهل بن عبد الله التستري: ((ما أحدثَ أحدٌ في العلم شيئاً إلاَّ سُئل عنه يوم القيامة، فإن وافق السُّنَّةَ سَلِم، وإلاَّ فلا)). فتح الباري (13/290).

وعلى هذا، فإنَّ الفهمَ الصحيحَ لقوله : ((وكلُّ بدعة ضلالة)) هو بقاءُ اللفظ على عمومه، وأنَّ كلَّ ما أُحدث في دين الله فهو بدعة، وهو مردودٌ على مَن جاء به؛ لقوله

في الحديث المتفق على صحَّته: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ))، وفي لفظٍ لمسلم: ((مَن عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ)).

أمَّا القولُ بأنَّ مِن البدعِ ما هو حَسنٌ فغير صحيح؛ لأنَّه يُخالف قول الرسول ﷺ: ((وكل بدعة ضلالة))، كما مرَّ إيضاحه في كلام ابن عمر ومالك وغيرهما المتقدِّم قريباً.

ولا يَصِحُّ الاستدلالُ لهذا القول بقوله ﷺ: ((مَن سَنَّ في الإسلام سنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر مَن عمل بها ...))، الحديث رواه مسلم؛ لأنَّ سياقَه في القدوة في الخير؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا حثَّ على الصدَقة، أتى رجلٌ من الأنصار بصُرَّةٍ كبيرة، فتابعه الناس على الصدقة، فعند ذلك قال النَّبِيُّ ﷺ ما قال.

الثاني: ذكر الكاتب أنَّ مَن زعم نُصحَهم

يُقـرُّون بعـضَ الأعمـال المخالفـة للسُّـنَّة، ولا يعدُّونَها بدعة، ومـن أمثلـة ذلـك عنـده وضـعُ حـواجز بيـن الرِّجـال والنِّسـاء فـي المسـجد النَّبوي، قال عن ذلك: ((وهـذه بدعـةٌ شـنيعةٌ؛ لأنَّـه إحـداثُ مـا لـم يحـدُث فـي زمنـه عليـه الصلاة والسلام والسـلف الصـالح، فقـد كـان يَلِي الإمامَ صفوفُ الرِّجال، ثـم الصِّـبيان، ثـم النِّساء، يُصلُّون جميعاً وبلا حاجز خلفـه صـلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم)).

ويُجاب عن ذلك: بـأنَّ مـن عجيـب أمـرِ الكاتب أن يرى أنَّ هـذا العمـلَ بدعـةٌ، مـع أنَّ فيـه سـتراً للنسـاء، وصـيانةً لهـنَّ مـن نظـرِ الرِّجال إليهنَّ، ونظرهنَّ إلى الرِّجال، وقد ثبت فـي الصـحيحين مـن حـديث أسـامة بـن زيـد رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ أنَّـه قـال: ((مـا تركـتُ بعـدي فتنـةً أَضَـرَّ علـى الرِّجـال مـن

النساء))، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: ((خيرُ صفوف الرِّجال أوَّلُها، وشرُّها آخرُها، وخير صفوف النِّساء آخرُها، وشرُّها أوَّلُها)).

وجاء في آداب النساء في صلاتِهنَّ مع النَّبِيِّ ﷺ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ((إن كان رسول الله ﷺ لَيُصلِّي الصبحَ فينصرفَ النساءُ مُتلفِّعاتٍ بِمُروطِهنَّ، ما يُعرفنَ من الغَلَس))، رواه البخاري ومسلم.

وفي صحيح البخاري عن أمِّ سلمة رضي الله عنها:

((أنَّ النساءَ في عهد رسول الله ﷺ كُنَّ إذا سلَّمنَ من المكتوبة قُمْنَ، وثبتَ رسولُ الله ﷺ ومَن صلَّى من الرِّجال ما شاء الله، فإذا قام رسولُ الله ﷺ قام الرِّجال)).

فهذان حديثان عن النَّبِيِّ ﷺ في الترغيب

فـي تباعـد النسـاء عـن الرجـال، وبعـدَهما حديثان في آداب صلاة النساء مع الرسـول ، ثم بعد ذلك تغيَّرت حـال النسـاء، حـتى قـالت عائشةُ رضي الله عنها: « لو أنَّ رسولَ الله رأى ما أَحْدَثَ النساءُ لَمَنَعَهـنَّ المسـجد، كمـا مُنعـت نسـاءُ بَنِـي إسـرائيل »، رواه البخـاري ومسلم.

وفـي هـذا الزمـان تغيَّـرت أحـوال النسـاء كثيراً، وحصل منهنَّ التبرُّجُ والسُّـفور، وسَـهُل الوصول إلى مكة والمدينة للرِّجـال والنِّسـاء، والمسجدان الشريفان حصـل فيهمـا توسـعةٌ كـبيرة، والنسـاء تـأتي إليهمـا مـن جهـاتٍ مختلفة، وخُصِّص لهـنَّ أمـاكن مُعيَّنـة، وجُعـل حواجز؛ حتى لا يختلِطـنَ بالرِّجـال، فـأيُّ مـانعٍ يَمنَعُ مـن ذلـك؟! بـل وكيـف يجـوز أن يصـفَه الكاتبُ بأنَّه بدعةٌ شنيعة؟!

مع أنَّ أوراق الكـاتب اشـتمَلت علـى بـدَعٍ واضـحة جليَّـة لَـم يعتبِرهـا بـدعاً، كبدعـة بنـاء القِبــاب علــى القبــور، والاحتفــال بالمولــد النَّبويِّ!!

* * *

9 ـ أشاد فـي أوراقـه بتعظيـم القبـور وبناء القباب عليها، فوصف العيدروس فقـال: ((الإمام الربَّاني الحبيب العـدني، بركـة عـدن وحضــرموت رحمــه اللــه تعــالى))، ونَــوَّه بِمشهده وبناء قُبَّتِه، ووصفها بأنَّها ((مباركـة!!)).

والجواب: أنَّ البناءَ على القبور واتخاذهـا مساجد قد جاءت أحاديث كـثيرة عـن رسـول الله في تحريمه والتحذير منـه؛ لأنَّـه مـن وسـائل الشـرك، وقـد ثبـت فـي صـحيح مسلم من حـديث أبـي الهيَّـاج الأسـدي قـال:

قال لي علي بن أبي طالب: ((ألاَ أبعثُكَ على ما بعثنِي عليه رسول الله ؟ أن لا تَدَعَ تِمثالاً إلاَّ طمَستَه، ولا قبراً مُشرفاً إلاَّ سوَّيتَه))، وفي لفظ: ((ولا صورةً إلاَّ طَمستَها)).

وفي الصحيحين من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: ((لَمَّا نُزل برسول الله طفِق يطرحُ خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنةُ الله على اليهود والنصارى، اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد يُحذِّرُ ما صنعوا)).

وقولهما رضي الله عنهما في الحديث: ((لَمَّا نُزل)) يَعنيَان الموتَ، وقد اشتمل هذا الحديث على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الدعاء على اليهود والنصارى

باللَّعن.

الأمر الثاني: بيان سبب اللَّعن، وهـو اتخـاذ قبور أنبيائهم مساجد.

والأمر الثالث: بيان الغرض من ذكر ذلــك، وهو تحذيرُ هذه الأمَّـة مـن الوقـوع فيمـا وقـع فيه اليهود والنصارى، فيستحقُّوا اللَّعنة.

وثبت في صحيح مسلم من حـديث جنـدب بن عبد الله البَجَليِّ أنَّه قال: سـمعتُ النَّبِـيَّ قبل أن يموت بخمسٍ، وهو يقول: ((إنِّي أبـرَأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليـلٌ، فـإنَّ اللـه قد اتَّخذني خليلاً، كما اتَّخذ إبراهيم خليلاً، ولـو كنتُ متَّخذاً من أُمَّـتي خليلاً لاتَّخـذتُ أبـا بكـر خليلاً، ألاَ وإنَّ مَن كـان قبلكـم كـانوا يتَّخـذون قبــور أنبيــائهم وصــالِحيهم مســاجد، ألاَ فلا تتَّخذوا القبورَ مساجد، إنِّي أنهاكم عن ذلك)).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قاتَل الله اليهودَ؛ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد))، وثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها وصْفُ الذين يَبنونَ المساجد على القبور بأنَّهم شرارُ الخَلق عند الله.

وهذه الأحاديثُ الثابتة عن رسول الله ﷺ اشتملت على التحذير من اتِّخاذ القبور مساجد مطلقاً، وبعضُها يُفيد حصولَ ذلك منه قبل أن يموت بخمسٍ، وبعضُها يُفيد حصولَ ذلك عند نزول الموتِ به.

والتحذيرُ من ذلك جاء على صِيَغٍ متعدِّدة، فجاء بصيغة الدعاء باللَّعنة على اليهود والنصارى، وجاء بصيغة الدعاء بمقاتلَة الله لليهود، وجاء بوصف فاعلي ذلك بأنَّهم شرارُ الخَلق عند الله، وجاء بصيغة ((لا)) الناهية

في قوله:
« ألا فلا تتَّخـذوا القبـورَ مسـاجد »، وبصـيغة لفظ النَّهي بقوله: « إنِّي أنهاكم عن ذلك ».

وهـذا مِـن كمـال نُصـحِه لأمَّتِـه ، وحرصِـه على نَجاتِها وشفقتِه عليها، صلَّى اللـه وسـلَّم وبارك عليه، وجزاه أوفَى الجـزاء، وأثـابَه أَتَـمَّ مثوبَة.

واتِّخاذ القبور مساجد يشمل بناء المسـجد على القبر، كما قال في النصـارى: « أولئـك إذا كان فيهم الرَّجل الصالِح فمـات بَنَـوا علـى قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصُّوَر، أولئـك شرارُ الخلق عند الله »، وهو فـي الصـحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها.

ويَشـمل قَصـدَها واسـتقبالَها فـي الصـلاة، كمـا قـال : « لا تجلِسـوا علـى القبـور، ولا تُصلُّوا إليها »، أخرجه مسلم مـن حـديث أبـي

مَرثَـد الغنَـويِّ رضـي اللـه عنـه. ويَشـمل السـجودَ علـى القـبر مـن بـاب أولـى؛ إذ هـو أخصُّ من الصلاة إليه.

وذكـر الـذهبيُّ فـي سـير أعلام النبلاء (8/27) فـي ترجمـة عبـد اللـه بـن لهيعـة أنَّ الدَّفنَ في البيوت من خصائص النَّبِيِّ ﷺ.

وأورد ابنُ كثير في البداية والنهاية ترجمـة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيـد القرشـية الهاشمية في حـوادث سـنة (208هـ)، ونقـل عن ابن خلِّكان أنَّه قال: ((ولأهـل مصـر فيهـا اعتقاد))، ثم قال ابـنُ كـثير: ((وإلـى الآن قـد بالغَ العامَّـةُ فـي اعتقـادهم فيهـا وفـي غيرهـا كـثيراً جـدًّا، ولا سـيما عـوامُّ مصـر، فـإنَّهم يُطلقـون فيهـا عبـارات بَشِـعة، فيهـا مجازَفـةٌ تـؤدِّي إلـى الكفـر والشِّـرك، وألفاظـاً كـثيرة ينبغـي أن يعرفـوا أنَّهـا لا تجـوز ...))، إلـى أن

قال: « ... والـذي ينبغـي أن يُعتقـد فيهـا: مـا يليق بِمِثلِهـا مـن النسـاء الصـالحات، **وأصلُ عبـادة الأصـنام مـن المغـالاة فـي القبـور وأصـحابها**، وقـد أمـر النَّبِـيُّ بتسـوية القبـور وطمسِـها، والمغـالاةُ فـي البَشَر حرامٌ ... ».

وكانت وفاةُ ابنِ كثير ـ رحمه الله ـ سـنة (774هـ).

وقـد ألَّـف فـي هـذه المسـألة العلاَّمـةُ الشوكاني المتـوفى سـنة (1250هـ) رسـالةً سَمَّاها "شرح الصـدور بتحريـم رفـع القبـور" أجادَ فيها وأفاد، قال فيها: « اعلم أنَّه قد اتَّفق الناسُ سابقهم ولاحِقهم وأولهم وآخرهـم مـن لدن الصحابة إلى هذا الـوقت أنَّ رفـعَ القبـور والبناءَ عليها بدعةٌ من البدع التي ثبـت النَّهـيُ عنها واشتدَّ وعيدُ رسول الله لفاعلِهـا، ولـم

يُخالف في ذلك أحدٌ من المسلمين أجمعين، لكنَّه وقع للإمام يحيى مقالة تدلُّ على أنَّه يرى أنَّه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء، ولم يَقل بذلك غيرُه ولا روي عن أحدٍ سواه، ومَن ذكرها من المؤلفين في كتب الفقه من الزيدية فهو جرى على قوله واقتداء به، ولم نجد القول بذلك مِمَّن عاصَرَه أو تقدَّم عصره عليه، لا من أهل البيت ولا من غيرهم، ثم ذكر أنَّ صاحب البحر الذي هو مدرس كبار الزيدية ومرجع مذهبهم ومكان البيان لخلافهم في ذات بينهم، وللخلاف بينهم وبين غيرهم لم ينسب القول بجواز رفع القباب والمشاهد على قبور الفضلاء إلاَّ إلى الإمام يحيى وحده، فقال ما نصُّه: مسألة: الإمام يحيى: لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملوك؛ لاستعمال المسلمين

ولم ينكر. انتهى ...)) إلى أن قال الشوكاني رحمه الله: ((فإذا عرفتَ هذا تقرَّر لك أنَّ هذا الخلافَ واقعٌ بين الإمام يحيى وبين سائر العلماء من الصحابة والتابعين ومن المتقدِّمين من أهل البيت والمتأخرين، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومن جميع المجتهدين أولهم وآخرهم، ولا يعترض هذا بحكاية مَن حكى قول الإمام يحيى في مؤلَّفِه مِمَّن جاء بعده من المؤلِّفين، فإنَّ مجردَ حكاية القول لا يدلُّ على أنَّ الحاكي يختاره ويذهب إليه ...)). إلى أن قال رحمه الله: ((فإذا أردتَ أن تعرفَ هل الحق ما قاله الإمام يحيى أو
ما قاله غيرُه من أهل العلم فالواجبُ عليك رد هذا الاختلاف إلى ما أمرنا الله بالردِّ إليه وهو كتاب الله وسنة رسول الله ...)).

ثم ذكر بعضَ الآيات المقتضية ذلك، وبيَّن وجهَ دلالتها على المطلوب، ثم ذكر جملةً من الأحاديث الكثيرة الواردة عن الرسول في تحريم اتِّخاذ القبور مساجد، والتي مرَّ ذكر بعضها، وبيَّن أنَّ ذلك يُفضي بفاعله إلى الشرك بالله، ثم قال: ((فلا شكَّ ولا ريب أنَّ السببَ الأعظمَ الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما يُزيِّنه الشيطان للناس من رفعِ القبور ووضعِ الستور عليها وتجصيصِها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين، فإنَّ الجاهلَ إذا وقعت عينُه على قبرٍ من القبور قد بُنيت عليه قُبَّة فدخلها ونظر على القبور الستورَ الرائعة والسُّرُجَ المتلألئة وقد سطعت حوله مجامر الطيب، فلا شكَّ ولا ريب أنَّه يمتلئ قلبُه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذِهنُه عن تصوُّر ما لهذا الميت من

المنزلة، ويدخله من الرَّوعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، وأشد وسائله إلى ضلال العباد، مِمَّا يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً، حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلاَّ الله سبحانه، فيصير في عدادِ المشركين، وقد يحصل له هذا الشركُ بأولِ رؤيةٍ لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة، وعند أول زَورة؛ إذ لا بدَّ له أن يخطرَ ببالِه أنَّ هذه العنايةَ البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت لا تكون إلاَّ لفائدة يرجونها منه، إمَّا دُنيوية أو أُخرويَّة، فيستصغرُ نفسَه بالنِّسبة إلى مَن يراه من أشباه العلماء زائراً لذلك القبر وعاكفاً عليه ومُتمسِّحاً بأركانه، وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانِه من بني آدم يَقفون على ذلك القبر

يُخادعون مَن يأتي إليه من الزائرين، يُهولـون عليهم الأمـر، ويصـنعون أمـوراً مـن أنفسـهم وينسبونها إلى الميت على وجـهٍ لا يفطـن لـه مَن كان من المغفَّلين، وقد يصـنعون أكـاذيب مشتملة على أشياء يُسـمُّونَها كرامـاتٍ لـذلك الميت، ويَبُثونها في الناس، ويُكـرِّرون ذكرَهـا في مجالِسهم وعند اجتماعهم بالناس، فتشيع وتسـتفيض ويتلقَّاهـا مَـن يحسـن الظـنَّ بالأموات، ويَقبَـل عقلُـه مـا يُـروى عنهـم مـن الأكاذيب فيرويها كما سَمِعها، ويتحدَّث بها في مجالِسِه، فيقع الجُّهالُ فـي بليَّـةٍ عظيمـة مـن الاعتقاد الشركيِّ، وينذرون على ذلـك الميـت بكرائم أمـوالهم، ويحبسـون علـى قـبره مـن أملاكِهم ما هو أحبُّها إلـى قلـوبهم؛ لاعتقـادِهم أنَّهم ينالون بجـاه ذلـك الميـت خيـراً عظيمـاً وأجراً كبيراً، ويعتقدون أنَّ ذلك قربـةٌ عظيمـةٌ

وطاعةٌ نافعةٌ وحَسنةٌ متَقبَّلـةٌ، فيحصـل بـذلك مقصود أولئـك الـذين جعلهـم الشـيطانُ مـن إخوانِه من بنـي آدم علـى ذلـك القـبر، فـإنَّهم إنَّما فعلوا تلك الأفاعيل، وهوَّلوا علـى النـاس بتلك التهاويـل، وكـذبوا تلـك الأكـاذيب لينـالوا جانباً من الحُطام من أموال الطغـام الأغتـام، وبهذه الذريعةِ الملعونـةِ والوسـيلةِ الإبليسـيَّة تكاثرت الأوقاف علـى القبـور، وبلغـت مبلَغـاً عظيمـاً حـتى بلغـت غلاَّتُ مـا يُوقـف علـى المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقـافُه لبلـغ مـا يقتـاته أهـل قريـة كـبيرة مـن قـرى المسلمين، ولو بِيعت تلـك الحبـائسُ الباطلـة لأغنـى اللـهُ بهـا طائفـةً كـبيرةً مـن الفقـراء، وكلُّها من النَّذر في معصية الله، وقد صحَّ عن رسول الله أنَّـه قـال: ((لا نـذر فـي معصـية الله))، وهي أيضاً من النَّذر الذي لا يُبتَغَـى بـه

وجه الله، بل كلُّها من النذور التي يستحقُّ بها فاعلُها غضب الله وسخطه؛ لأنَّها تُفضي بصاحبها إلى ما يفضي به اعتقاد الإلهيَّة في الأموات من تزلزل قدَم الدِّين؛ إذ لا يَسمحُ بأحبِّ أمواله وألصقها بقلبه إلاَّ وقد زرع الشيطان في قلبه مِن مَحبَّةِ وتعظيم وتقديس ذلك القبر وصاحبه، والمغالاة في الاعتقاد فيه ما لا يعود به إلى الإسلام سالِماً، نعوذ بالله من الخذلان ... ».

إلى أن قال: « وأمَّا ما استدلَّ به الإمام يحيى حيث قال: (لاستعمال المسلمين ذلك ولم ينكروه)، فقولٌ مردودٌ؛ لأنَّ علماءَ المسلمين ما زالوا في كلِّ عصرٍ يروون أحاديث رسول الله في لعن مَن فعل ذلك، ويُقرِّرون شريعةَ رسول الله في تحريم ذلك في مدارسِهم ومجالسِ حُفَّاظهم، يرويها

الآخـــرُ عـــن الأوَّلِ، والصـــغيرُ عـــن الكـــبير، والمتعلِّمُ عن العالِمِ مـن لـدن أيـام الصـحابة إلى هذه الغاية، وأوردها المحدِّثون في كتبهـم المشـــهورة مـــن الأمَّهـــات والمســـندات والمصـــنفات، وأوردهـــا المفسِّـــرون فـــي تفاسيرِهم، وأهلُ الفقـه فـي كتبهـم الفقهيـة، وأهلُ الأخبار والسِّيَر في كتب الأخبار والسِّيَر، فكيف يُقال إنَّ المسلمين لم يُنكروا على مَن فعل ذلك، وهم يروون أدلَّةَ النَّهيِ عنه واللَّعـن لفاعله خلفاً عن سلف في كلِّ عصـرٍ؟! ومـع هذا فلم يـزل علمـاءُ الإسـلام منكريـن لـذلك مبالِغين في النهي عنه، وقد حكى ابـن القيِّـم عن شيخه تقيِّ الدِّين ــ رحمهمـا اللـه ــ وهـو الإمـام المحيـط بمـذهب سـلف هـذه الأمـة وخلفِها أنَّه قد صـرَّح عامـةُ الطوائـفُ بـالنَّهي عـن بنـاء المسـاجد علـى القبـور، ثـم قـال: وصـرَّح أصـحاب أحمـد ومالـك والشـافعي

بتحريم ذلك، وطائفةٌ أطلقت الكراهة، لكن ينبغي أن يُحمل على كراهة التحريم؛ إحساناً للظنِّ بهم، وأن لا يُظنَّ بهم
أن يُجوِّزوا ما تواتَر عن رسول الله لعن فاعله والنهي عنه)). انتهى.

هذه مقتطفاتٌ مِمَّا اشتملت عليه رسالة هذا الإمام
من الإيضاح والتحقيق في هذه المسألة التي تواترت الأحاديث عن رسول الله فيها، وأَجمعَ العلماءُ على حكمِها، ومع ذلك فقد تحقَّق للشيطان مراده في كثير من البلاد الإسلامية من مخالفة كثير من الناس ما تواتر وانعقد عليه الإجماع من تحريم البناء على القبور واتِّخاذها مساجد، وكأنَّ الإجماعَ في نظرهم انعقد على جواز واستحباب ذلك،

فالله المستعان ونعوذ بالله من الخذلان.

وعلى قاعدة ابـن جريـر الـتي ذكرهـا ابـنُ كثير عند تفسيره قوله تعـالى: {**وَلاَ تَـأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللـهِ عَلَيْـهِ**}، وهـي أنَّ خلاف الواحد أو الإثنين لا يُـؤثِّر فـي الإجمـاع، فإنَّ هذه المسألةَ من مسائل الإجماع، وعلـى قول الحافظ ابـن حجـر فـي الفتـح (2/219) أنَّه لا يُعتدُّ بخلاف الزيدية، فإنَّ المسألةَ أيضـاً من مسائل الإجماع.

وهذا المعنى الذي ذكره الشوكانيُّ ـ رحمه الله ـ من الافتتـان بـالقبور وتحـبيس الأمـوال عليهـا وعمـل النـذور لهـا نَظَمـه الشـاعر المصـري حـافظ إبراهيـم المتـوفى سـنة (1351هـ) فقـال يَصـف واقـعَ المسـلمين المؤلِم:

أحـيـاؤنـا لا يُـرزقـون بـدرهـم

وبـألفِ ألـفٍ تُـرزَقُ الأمـــواتُ
مَـن لِي بِحَظِّ النَّائِمِـيـن بِـحـفـرة
قامت على أحجارها الصـلواتُ
يسعى الأنام لَـهـا ويجري حـولَهَا
بَـحْـرُ النــذور وتُـقـرأ الآيــاتُ
ويُقال هذا القطب باب المصطفى
ووسيلةٌ تـقضَى بها الحاجـــاتُ

وإذا تأمَّل العاقلُ مـا ورد عـن النَّبِـيِّ مـن الأحاديث الكثيرة في تحريم البناء على القبور واتخاذها مسـاجد، وإجمـاع أهـل العلـم علـى ذلك وما نُقل عنهم فـي ذلـك، ولا سـيما قـول الحافظ ابن كثير رحمه الله: ((وأصـل عبـادة الأصنام من المغالاة في القبـور وأصـحابها))، ثـم نظـر فـي كلام الكـاتب عـن العيـدروس ووَصفه بأنَّه بركة عدَن وحضـرموت، وتنـويهه

بمشهده وبنـاء قُبَّتـه، ووصـفها بأنَّهـا مباركـة، تبيَّن له الفـرقُ بيـن الحـقِّ والباطـل، والهُـدى والضلال، ومَن يدعو إلى الجَنَّة ومَن يدعو إلى النار!!

وإنِّـي أنصَـحُ الأسـتاذ الرفـاعي والـدكتور البـوطي أن يتَّقـوا اللـه فـي أنفسِـهم وفـي المسـلمين، فلا يكونـون عونـاً لهـم علـى الافتتان بالقبور، بل يكونـون عونـاً لهـم علـى الهدايـة إلـى الصـراط المسـتقيم، وقـد قـال رسول الله ﷺ: ((مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعـه، لا ينقـص ذلـك مـن أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كـان عليـه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك مـن آثامهم شيئاً))، رواه مسلم.

* * *

10 ـ أشاد الكاتب في أوراقه بقصيدة

البُردة للبوصيري في مدحِ الرسول ﷺ!

والجواب: أنَّ مدحَ الرسول ﷺ منه ما هو محمودٌ، ومنه ما هو مذمومٌ، فالمحمودُ مَدْحُه ﷺ بِما يليقُ به من غير غُلُوٍّ وإطراء، والمذمومُ منه ما كان مُشتملاً على الغُلُوِّ والإطراء، ومجاوزة الحدِّ، ومنه بعض أبيات البُردة للبوصيري.

وقد مدحتُ النَّبِيَّ ﷺ بما يليقُ به في كتابي "من أخلاق الرسول الكريم ﷺ"، ومِمَّا قلتُ في شرح الحديث: « لا تُطرونـي كما أطرت النصارى ابنَ مريم، فإنَّما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله » من كتابي "عشرون حديثاً من صحيح البخاري" المطبوع قبل ثلاثين عاماً، قلتُ:

مَدْحُ الرسول ﷺ منه ما هو محمودٌ، ومنه ما

هـو مـذمومٌ، فـالمحمودُ هـو أن يُوصَـف بكـلِّ كمـالٍ يليـق بالإنسـان، فهـو أعلـمُ النـاس وأنصحُهم وأخشـاهم لله وأتقـاهم وأفصـحُهم لساناً وأقواهم بياناً، وأرجحُهم عقلاً، وأكـثرُهم أدباً، وأوفرُهم حِلماً، وأكملُهـم قـوَّةً وشـجاعة وشفقة، وأكرمُهم نفساً، وأعلاهم منزلة، وكلُّ وصف هو كمالٌ في حقِّ الإنسان فلِسـيِّد ولـد آدم صلوات الله وسـلامه عليـه منـه القِسـطُ الأكبر والحظُّ الأوفر، وكلُّ وصفٍ يُعتـبر نقصـاً في الإنسان، فهو أسلم النـاس منـه وأبعـدهم عنه، فلقد اتَّصف بكلِّ خُلُق كريم، وسَـلِم مِـن أدنى أيِّ وصفٍ ذميمٍ، وحَسبُه شرفاً قول الله تعالى فيه: {**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**}، قد واللـه بلَّـغ البلاغَ المـبين، وأدَّى الأمانـةَ علـى أكمل وجه، ونصَـح للأمَّـة غايـةَ النُّصـح، ببيـان ليــس وراءَه بيــان، ونصــحٍ يفــوق نصــحَ أيِّ

إنسان، فكلُّ ثناءٍ على سيِّد الأولين والآخرين ﷺ من هذا القبيل فهو حقٌّ، مع الحَذر من تجاوز الحدِّ والخروج عن الحقِّ، وما أحلى وأجملَ وصفه ﷺ بكونِه عبد الله ورسوله، تحقيقاً لرغبته عليه الصلاة والسلام، وامتثالاً لأمرِه في قوله في هذا الحديث:

« وقولوا عبد الله ورسوله ».

والمدحُ المذمومُ هو الذي يتجاوز فيه الحدّ، ويقع به المادحُ في المحذور الذي لا يرضاه الله ولا رسولُه ﷺ، وذلك أن يُوصف ﷺ بما لا يجوز أن يوصف به إلاَّ الله تبارك وتعالى، أو أن يُصرف له ﷺ ما لا يستحقُّه إلاَّ الباري جلَّ وعلا، ومن ذلك بعض الأبيات التي قالَها البوصيري في البُردة مثل قوله:

يا أكرم الخلق ما لي مَن ألوذ به

سواك عند حلول الحادِث العَمِمِ

فهذا المعنى الذي اشتمل عليه هذا البيت لا يجوز أن يُصرف لغير الله عزَّ وجلَّ، ولا يستحقُّه إلاَّ هو وحده لا شريك له، فهو الذي يُعاذ به ويُلاذ به ويُلتجأ إليه ويُعتصم بحبلِه ويُعوَّل عليه، وهو الذي قال عنه مُبيِّناً تفَضُّلَه وامتنانَه على عباده وأنَّه ما بِهم من نعمة فمنه تفضُّلاً وامتناناً: ((لن يَدخل أحدُكم بعمله الجنَّةَ، قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلاَّ أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل))، وهو الذي يُجيبُ المضطَرَ إذا دعاه ويكشف السوءَ، كما قال تعالى: {**أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ءَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**}، أي: لا أحد سواه يكون كذلك، لا مَلَكاً مُقرَّباً، ولا نبيًّا مرسلاً،

فضلاً عمَّن سواهما، وقال تعالى: {**وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**}، وقال تعالى: {**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**}، وقال: {**ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**}.

والحاصل أنَّ المدحَ الذي اشتمل عليه هذا البيت مدحٌ بالباطلِ الذي حذَّر منه الرسول ﷺ، ويكون حقًّا لو قال منادياً ربَّه:

يا خالق الخلق ما لي مَن ألوذ به

سواكَ عند حلول الحادث العمم

ومثل قوله أيضاً يُخاطبُ النَّبِيَّ ﷺ:

فإنَّ مِن جُودِك الدنيا وضَرَّتَها

ومِن علومك علم اللَّوحِ والقَلَمِ

وهـذا لا يليـق إلاَّ بِمَـن بيـدِه ملكـوت كـلِّ شيءٍ سبحانه وتعالى، فهو القائل عن نفسـه: {**وَمَا بِكُمْ مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**}، والقائـل عنه نبيُّه ﷺ: ((واعلم أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعوا علـى أن ينفعوك بشيء لـم ينفعـوك إلاَّ بشـيء قـد كتبه الله لك))، الحديث، فهو وحده الذي مـن جوده الـدنيا والآخـرة، وهـو وحـده الـذي مـن علمِه علم اللوح والقلم، أما الرَّسول ﷺ فهـو لا يَملك إلاَّ ما أعطاه الله، ولا يعلـم مـن الغيـب إلاَّ ما أطلعه عليه، وقد أمـره اللـه أن يقـول: {**لاَ أَقُولُ لَكُـمْ عِنـدِي خَزَائِـنُ اللـهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ**} الآية، وقال له: {**قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُـمْ ضَـرًّا وَلاَ رَشَـدًا**}، وثبـت فـي الصحيحين أنَّه ﷺ لَمَّـا نـزل عليـه قـوله تعـالى: {**وَأَنذِرْ عَشِـيرَتَكَ الأَقْرَبِيـنَ**} قـال: ((يـا

معشـر قريـش ــ أو كلمـة نحوهـا ــ اشـتروا أنفسكم لا أُغني عنكم من الله شـيئاً، يـا بَنِـي عبد مَناف لا أغنـي عنكـم مـن اللـه شـيئاً، يـا عباس
ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شـيئاً، ويا صفيَّة
عمَّة رسول الله لا أغني عنكِ من اللـه شـيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سَلِينِي ما شـئتِ مـن مالي، لا أغنِي عنـكِ مـن اللـه شـيئاً))، وروى البخاريُّ في صـحيحه عـن أبـي هريـرة رضـي الله عنه قال: ((قام فينا رسول اللـه فـذَكر الغُلولَ فعظَّمـه وعظَّـم أمـرَه قـال: لا أُلفيـنَّ أحـدَكم يـوم القيامـة علـى رقبَتـه فـرسٌ لـه حمحمة يقول: يا رسول الله أَغِثنِـي، فـأقول: لا أملكُ لك شيئاً قد أبلغتُك))، الحديث.

* * *

11 ـ قال الكاتب: ((تَمنعون دفنَ المسلم الذي يموت خارج المدينة المنوَّرة ومكة المكرَّمة من الدَّفن فيهما، وهما مِن البقاع الطيِّبة المباركة التي يُحبُّها الله ورسولُه، فتَحرِمون المسلمين ثوابَ الدَّفنِ في تلك البقاع الشريفة المباركة، فعن عبد الله بن عدي الزهري رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله على راحلتِه واقفاً بالحزوَرة، يقول: (والله إنَّك لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أخرجتُ منك ما خرجتُ)، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله : (من استطاع أن يموت في المدينة فليَمت بها، فإنَّي أشفع لِمَن يموت بها))).

والجواب: أنَّ الأصلَ أن يُدفن كلُّ ميتٍ في بلد وفاته إلاَّ لضرورة تدعو إلى نقله إلى

غيره، وفي هـذا الزمـان سـهُل الوصـول إلـى الحرمين الشريفين بوسائل النقل المختلفــة، فلو مُكِّن كـلُّ مَـن أراد الـدفن فـي الحرمَيـن لأوشك أن تتحوَّل المدينتان المُقدَّسـتان إلـى قبور، والمُهمُّ للمسلم أن يكون
في حياته على حالة حسـنةٍ وأعمـالٍ صـالحة، وأن يُختم له بخير.

والحـديثان المـذكوران: الأول فـي فضـل مكة، والثـاني فـي فضـل المدينـة، وهـو يـدلُّ على فضل الموت بالمدينة، ومن المعلـوم أنَّ كلَّ من مات بالحرمين يُدفن فيهما، ولا دلالــة فـي ذلـك علـى النقـل إلـى الحرميـن للـدَّفن فيهما.

ثـم لمـاذا يعيـبُ الكـاتب علـى مَـن زعـم نصحَهم منْعَ النقل إلى الحرمين للدَّفن فيهما، مع أنَّه مُعجَبٌ بالصوفية، وقد ذُكر عن بعضهم

حكاياتٌ مفادُها أنَّ من الأمواتِ
من تنقلُه الملائكةُ من المكان الذي دُفن فيه إلى مكان آخر!! وقد ذكر السخاويُّ في كتابه "المقاصد الحسنة فيما يدور من الأحاديث على الألسنة" حديث: ((إنَّ لله ملائكة تنقل الأموات!!))، وقال: ((لم أقف عليه))، ثم ذكر حكاياتٍ، منها أنَّ العزَّ يوسف الزرندي أبا السادة الزرنديين المدنيين ــ وهو مِمَّن لم يَمت بالمدينة ــ رؤي في النوم وهو يقول للرائي: سلِّم على أولادي، وقل لهم: إنِّي قد حُملتُ إليكم، ودُفنت بالبقيع عند قبر العباس، فإذا أرادوا زيارتي فليَقفوا هناك، ويُسلِّموا ويدعوا!!!

وذكر هذا الحديثَ العجلوني في "كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما يدور من الحديث على ألسنة الناس"، ونقل الحكايات التي

ذكرها السخاوي، ثم قال: « وقال الشعراني أيضاً في كتابه البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير: قد ثبت وقوعه لطائفة، منهم سيدي أبو الفضل الغريق من أولاد السادات بني الوفاء، غرق في بحر النيل فوجدوه عند جدِّه بالقرافة مدفوناً!! وأما نقل الحديث فكثير، يتكلَّم الرَّجل بمصر فينتقل إلى مكة في ليلة فيجده الناس هناك!! انتهى ».

وكانت وفاة الشعراني صاحب هذا الكلام سنة (973هـ).

وأهل السنة والجماعة ـ ومنهم مَن زعم الكاتبُ نصحَهم ـ يُؤمنون بأنَّ اللهَ على كلِّ شيء قدير، ويُصدِّقون بكرامات أولياء الله حقًا، وهم الصحابة ومَن تبعهم بإحسانٍ، ولا يُصدِّقون بالحكايات المنامية وغير المناميَّة التي ليس لها خطامٌ أو زِمام.

وكلُّ ميت دُفن في مكان فـإنَّه يُبعـث منـه يوم القيامة، كمـا قـال الله عـزَّ وجـلَّ: {**ثُـمَّ إِنَّكُـمْ يَـوْمَ القِيَامَـةِ تُبْعَثُـونَ**}، والقبـور تنشقُّ عـن أصـحابِها يـوم القيامـة، وأوَّلُ قـبرٍ ينشقُّ عن صاحبِه قبرُ نبيِّنا محمد كما قال : « أنا سـيِّدُ ولـد آدم يـوم القيامـة، وأوَّلُ مَـن ينشقُّ عنه القبرُ، وأوَّلُ شـافعٍ وأوَّلُ مُشَـفّع »، رواه مسـلم فـي صـحيحه مـن حـديث أبـي هريرة رضي الله عنه.

ولم يثبت في السُّـنَّة مـا يـدلُّ علـى خلاف ذلك، وأنَّ الملائكـةَ تنقـل المـوتى مـن مكـان إلى مكـان، بـل قـد جـاء فـي جـامع الترمـذي حديثُ أبي هريرة رضي الله عنـه فـي سـؤال منكر ونكير للمؤمن والمنافق، وأنَّ كلاًّ منهما يكون في مضجعه، وفيـه أنَّـه يُقـال للمـؤمن: « نَمْ كنومَة العروس الذي لا يوقظُه إلاَّ أحـبُّ

أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)).

وفيه أنَّـه يُقـال للأرض فـي حـقِّ المنـافق: ((الْتَئمِي عليه، فتَلْتَئمُ عليه، فتختلف أضلاعُه، فلا يـزال فيهـا مُعـذَّباً حـتى يبعثـه اللـه مـن مضجعه ذلك))، وهو حديثٌ ثابتٌ، رجاله رجال مسلم.

* * *

12 ـ عـاب الكـاتب علـى مَـن زعـم نصحَهم تعييـنَ الشـيخ محمـد ناصـر الـدين الألبـاني ــ رحمـه اللـه ــ أسـتاذاً بالجامعـة الإسـلامية بالمدينـة، وعضـواً فـي مجلسِـها الأعلى، وزعم أنَّ الملكَ فيصلاً ـ رحمه الله ــ طرَدَه، وأنَّه أُعيد إلى نفس المنصب بعد ذلك، ووصف كتبَه بأنَّها كاسدة!!!

والجـواب: أنَّ الشـيخَ العلاَّمـةَ المحـدِّث

محمد ناصر الدِّين الألباني ـ رحمه الله ـ معروفٌ لدى أهل الإنصاف بجهودِه العظيمة في خدمة السنَّة، وتسهيل الوصول إلى معرفة الأحاديث، وبيان مظانِّها وطرُقِها ومتابعاتها وشواهدها والحكم عليها.

وقد عُيِّن مدرِّساً في الجامعة الإسلامية بالمدينة في السنوات الأولى من إنشائها، وعُيِّن عُضواً في مجلسها الأعلى، ثم انتهى التعاقد معه كما ينتهي التعاقد مع المدرِّسين غير السعوديين، وكنتُ مدرِّساً في الجامعة الإسلامية منذ تأسيسها، وما سمعتُ أنَّ الملكَ فيصلاً

ـ رحمه الله ـ طرد الشيخَ الألبانيَّ كما زعم الكاتب!

والمجلسُ الأعلى للجامعة سابقاً يتألَّف من أعضاء، فيهم عشرة من خارج المملكة

يصدر بتعيينهم أمرٌ مَلَكيٌّ لمـدَّة ثلاث سـنوات بناءً على ترشيح رئيس الجامعة.

وقد كنتُ منذ عهد الملـك فيصـل ــ رحمـه اللـه ــ علـى وظيفـة نـائب رئيـس الجامعـة الإسلامية، وبعد انتقال الشيخ عبد العزيـز بـن بـاز ــ رحمـه اللـه ــ مـن رئاسـة الجامعـة الإسلامية إلى رئاسة إدارات البحوث العلميـة والإفتاء والـدعوة والإرشـاد فـي شـوال عـام 1395هـ، كنتُ المسـئول الأول فـي الجامعـة مدَّة أربـع سـنوات، فرشَّـحتُ عشـرة أعضـاء في المجلس الأعلـى للجامعـة، فيهـم الشـيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، وتَمَّـت الموافقة على تعيينهم، ويرجـع اختيـار الشـيخ الألبـاني ــ رحمـه اللـه ــ إلـى علمِـه وفضـله وجهودِه في خدمة السنَّة، وإلـى كـونه ناصـراً للسُنَّة محذِّراً من البدع، رادًّ على المبتدعة.

وأمَّـا وصـف الكـاتب لكُتبِـه بأنَّهـا كاسـدة،

فنعم هي كاسدةٌ عنـده وأمثـاله! أمَّـا مَـن لـه اشتغالٌ بالعلم واهتمامٌ بالسُنَّة فيحرص علـى اقتنائها والاستفادة منها.

* * *

13 ـ أشاد الكاتبُ في أوراقه بإقامـة احتفالات لِمولدِ رسول الله ﷺ، وأَنكَرَ على مَن زعم نُصحَهم إنكارهم لذلك.

والجواب: أنَّ مَحَبَـةَ الرسـول ﷺ يجـب أن تكون في قلبِ كلِّ مسلم أعظـمَ مـن محبَّتِـه لوالديه وولده والنـاسِ أجمعيـن، كمـا قـال ﷺ: « لا يُؤمنُ أحدُكم حـتى أكـون أحـبَّ إليـه مـن والدِه وولدِه والناس أجمعين »، رواه البخاري ومسلم.

بـل يجـبُ أن تكـون أعظـمَ مـن مَحبَّتِـه لنفسِه، كما ثبت ذلك في حـديث عمـر رضـي الله عنه في صحيح البخاري، وإنَّمـا وجـب أن

تكون مَحبَّتُه أعظمَ مِن مَحبَّة النفسِ والوالِدِ والولَـدِ؛ فلأنَّ النِّعمـةَ الـتي سـاقها اللـهُ للمسلمين على يديه ـ وهـي نعمـةُ الهدايـةِ للصـراطِ المسـتقيم، نعمـةُ الخـروج مـن الظلمـات إلـى النُّـورِ ــ هـي أَجَـلُّ النِّعـم وأعظَمُها، لا يُساويها نعمةٌ ولا يُماثلُها نعمة.

والعلامةُ الواضحةُ الجليَّةُ لِمَحبَّتِه اتِّبـاعُ ما كان عليه رسـولُ اللـه وأصـحابُه الكـرام رضـي اللـه عنهـم، وذلـك بتصـديقِ الأخبـار، وامتثالِ الأوامرِ، واجتنابِ النَّواهي، وأن تكـون العبـادةُ للـه مُطابقـةً لِمـا جـاء فـي الكتـاب والسُّنَّة.

ومِن المعلوم أنَّ النَّبِيَّ لَم يأتِ عنه شيءٌ يدلُّ على احتفاله بِمولِده، وكذا لَم يأتِ شـيءٌ من ذلك عن أصحابِه الكرام، ولا عن التـابعين وأتباعِ التابعين، ومَضتِ القرونُ الثلاثةُ الأولـى

ليس فيها شيءٌ من الاحتفالات بمولِده ﷺ، وأولُ مَن عُرف عنه إحداثُ الاحتفال بالموالدِ ــ ومنها مولده ﷺ ـ العُبَيدِيُّون الذين حَكموا مصرَ، الذين يُقال لهم: الفاطميين، وكان بدءُ حكمهم مصر في القرن الرابع الهجري، فقد ذكر تقيُّ الدِّين أحمد بن علي المقريزي في كتابه: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (1/490) أنَّه كان للفاطميِّين في طول السَّنة أعياد ومواسم، فذكرها وهي كثيرةٌ جدًّا، ومنها مولدُ الرسول ﷺ، ومولد عليٍّ وفاطمة والحسن والحُسين رضي الله عنهم، ومولد الخليفة الحاضر.

وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة (567هـ)، وهي السنةُ التي انتهت فيها دولتُهم بموتِ آخرهم العاضد، قال: « ظهرتْ في دولتِهم البدعُ والمنكرات،

وكثُرَ أهلُ الفساد، وقلَّ عندهم الصالِحون من العلماء والعُبَّاد ...)).

وذكر ابن كثير قبل ذلك بقليل أنَّ صلاح الدِّين قطع الأذانَ بِحيَّ على خير العمل من مصر كلِّها.

وفي القول بالاحتفال بمولد الرسول تقليدٌ للنصارى في احتفالهم بميلادِ عيسى عليه الصلاة والسلام، فقد قال السخاويُّ في كتابه التبر المسبوك في ذيل السلوك (ص:14): ((وإذا كان أهلُ الصَّليب اتَّخذوا ليلة مولِد نبيِّهم عيداً أكبر، فأهل الإسلام أولَى بالتكريمِ وأجدَر!!!)).

وتعقَّبه مُلاَّ علي القاري في كتابه المورد الروي في المولد النبوي (ص:29، 30) بقوله: ((قلت: مِمَّا يَرِدُ عليه أنَّا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب)).

أورد النقـل عنهمـا الشـيخ إسـماعيل بـن محمد الأنصاري
ـ رحمه الله ـ في كـتـابـه القـول الفصـل فـي حكم الاحتفال بمولد خير الرُّسل ـ وهو ضـمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النَّبـوي ــ (2/630 ـ 631).

وكتاب الأنصاريِّ هذا مـن أحسـن مـا أُلِّـف في هـذه المسـألةِ الـتي ابتُلـي بهـا كـثيرٌ مـن الناس منذ أن أُحدثت فـي القـرن الرابـع إلـى الآن.

وإذاً فالمُحْدِثون لبدعـة الموالـدِ الرافضـةُ العُبيـــديُّون، والمقلَّـــدون فيهـــا النصـــارى الضَّالُّون، وصدق الرسول الكريمُ في قوله: ((لتَتبعُنَّ سَنَن مَن كـان قبلكـم، شِـبراً شـبراً، وذراعـاً ذراعـاً، حـتى لـو دخلـوا جُحـرَ ضـبٍّ تَبِعتمـوهم. قلنـا: يـا رسـول اللـه! اليهـود

والنصـارى؟ قـال: فمَـن؟))، رواه البخـاريُّ ومسلم من حديث أبي سـعيد الخـدري رضـي الله عنه.

* * *

14 ـ قـال الكـاتبُ: ((كـان للمـذاهب الأربعة في
الحَرم المكيِّ منابر، فهدمتُموها، ثـمَّ كراسـي للتدريس، فمنعتموها ...)).

واستنكرَ قولَ أحد المُدرِّسين في المسجد النَّبـوي: إنَّ أبـوي رسـول اللـه فـي النـار، واستشهد لإنكارِه بقول الله عـزَّ وجـلَّ: {**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللـهُ فِـي الـدُّنْيَا وَالآخِـرَةِ وَأَعَـدَّ لَهُـمْ عَـذابًا مُهِينًا**}، وبقوله: {**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُـولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}!!! وعوَّل فـي نجـاةِ

الأَبَوين على رسائل للسيوطي في ذلك.

والجواب: أن يُقال: يُريد الكاتبُ بالمنابر المهدومة المقامات التي على أطراف المطاف سابقاً، والتي يُقال لها: مقام الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، وكانت موجودةً قبل ولاية الملك عبد العزيز رحمه الله، وكان كلُّ أصحاب مذهبٍ يُصلُّون على حِدَةٍ عند هذه المقامات، فكان من أعظمِ حسناتِ الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ــ أنَّه منذ بدء ولايتِه قضَى على هذا التفرُّق في الصلاة حول الكعبة، وجمع النَّاسَ على إمامٍ واحد يُصلِّي بهم مجتمعين غير متفرِّقين، وقد بقيت البناياتُ التي يُقال لها المقامات إلى أن أُزيلت عند توسِعة المطاف، وقد شاهدتُها عندما حججتُ فرضي سنَة (1370هـ).

وقد سمعتُ من الدكتور محمد تقي الدِّين

الهلالي

ـ رحمه الله، وهو مِمَّـن أدرك ذلـك الـوقت ـ يـذكر أنَّ واحـداً مِمَّـن آلَمَهـم ذلـك التفـرُّق تحدَّث مع واحدٍ من المتعصِّـبين مُنكِـراً لـذلك التفرُّق، فكان جواب ذلك المتعصِّب أن قـال: الدليل على أنَّكم لسـتم علـى حـقٍّ أنَّـه ليـس لكم مقامٌ حول الكعبة، فكـان جـواب المنكِـر لذلك التفرُّق: يكفي المسلمين جميعـاً مقـامُ إبراهيم، ولا يحتاجون إلى مقامات أخرى!!

والكاتبُ ـ في أوراقِـه ـ يُظهـرُ التـألُّمَ مـن فُرقـة المسـلمين فـي هـذا الزمـان، فيقـول: ((بلادُ أمريكـا وأوربـا وصـلها داؤكـم الـدَّفين، فاشـتعلَ الخلافُ فـي مسـاجدِ ومـدارس المسلمين، هذا تـابعٌ لابـن بـاز وابـن عُـثيمين، يُكفِّـرُ الصـوفيةَ والـذَّاكرين، وهـذا أشـعريٌّ أو ماتريـديٌّ، وهـذا ديوبَنـديٌّ أو بريلـوي ... إلـخ،

يُحاربُ بعضُهم بعضاً، ويُحرِّم الصلاة خلفهم، والزواج والتواصل فيما بينهم، ويقطع أواصرَ الدِّين ...)).

فإذا كان هذا تألُّمُه لفُرقةِ المسلمين في أوربا وأمريكا، فما باله يتألَّم ويحزن لوِحدتِهم وزوال فُرقتِهم عند الكعبة، فينقمُ على مَن كانوا سبباً في هذه الوِحدةِ، ويقول: ((كان للمذاهب الأربعة في الحَرم المكيِّ منابر، فهدمتُموها))؟!!

وهذا التناقضُ من الكاتبِ في تألُّمِه على الفُرقة في أمريكا وأوربا، وتألُّمه وحُزنِه على وِحدة المسلمين في صلاتِهم عند الكعبة ناشيءٌ عن اتِّباعِ الهَوَى والنَّيلِ مِمَّن يَدْعو إلى الحقِّ والهدى، وما أحسن قول أبي عثمان النيسابوري رحمه الله: ((مَن أمَّر السُّنَّةَ على نفسِه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومَن أمَّر

الهوى على نفسِه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة)).

ثمَّ ما علاقةُ مَن أراد نُصحَهم بتفَرُّق غيرهم إلى أشعريٍّ أو ماتريديٍّ، وديوبَنديٍّ أو بريلـويٍّ ... إلخ، على حدِّ قوله.

وقوله: ((هذا تابعٌ لابن بـاز وابـن عُـثيمين، يُكفِّـرُ الصـوفيةَ والـذَّاكرين))، هـو مـن الإفـكِ المُبين، كما سبقت الإشارةُ إلى ذلك.

وأمَّـا التـدريسُ فـي المسـجد الحـرام والمسجد النَّبَويِّ، فهو مستَمرٌّ وقائمٌ ـ والحمد لله ـ في التفسـير والحـديث والفقـه وغيرهـا، وأذكـرُ أنَّ مِمَّـا دُرِّس فـي المسـجد النَّبَـويِّ موطأ الإمام مالك رحمه الله، درَّسه كـلٌّ مـن الشـيخ عطيـة محمـد سـالم، والشـيخ عمـر محمد فلاتة رحمهمـا اللـه، ومقتضـى الولايـة والأمانـة والنُّصـح للمسـلمين ألاَّ يُسـمح لكـلِّ

مَــن أراد أن يفتــحَ فــاه فــي المســجدَين الشريفين.

وأمَّا إنكارُه القول بأنَّ أبوي رسـول اللـه في النار فلا وجه له؛ لأنَّ الـذي قـال ذلـك هـو رسول الله ، ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: ((في النار))، فلمَّا قَفَّـى دعاه، فقال: ((إنَّ أبي وأباك في النَّار)).

وقد بوَّب النَّوويُّ لهذا الحديث فـي شـرحه لصـحيح مسـلم بقـوله: ((بـاب: بيـان أنَّ مَـن مـات علـى الكفـر فهـو فـي النـار، ولا تنـاله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقرَّبين)).

وقال في شرحه: ((وفيه أنَّ مَن مات فـي الفترة على ما كانت عليه العـربُ مـن عبـادة الأوثان فهو في النَّار، وليس هذا مُؤاخذة قبـل بلـوغ الـدَّعوة؛ فـإنَّ هـؤلاء كـانت قـد بلغتهـم

دعوةُ إبراهيم وغيره من الأنبياء صلواتُ اللـه تعالى وسلامه عليهم)).

وفي صحيح مسلم عن أبـي هريـرة رضـي الله عنه قال: قال رسول الله : ((اسـ تأذنتُ ربِّـي أن أسـتغفرَ لأُمِّـي فلَـم يـأذن لِـي، واستأذنتُه أن أزورَ قبرَها فأذِن لِي)).

وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي اللـه عنـه قال: ((زار النَّبِيُّ قبرَ أُمِّه، فبَكى وأبْكى مَـن حوله، فقال: اسـتأذنتُ ربِّـي فـي أن أَسـتغفرَ لَهـا فلَـم يُـؤذن لِـي، واسـتأذنتُه فـي أن أزورَ قبرَها فأذِنَ لِـي، فـزوروا القبـورَ؛ فإنَّهـا تُـذكِّرُ الموتَ)).

قال النوويُّ في شرحه هذا الحديث: ((فيه جوازُ زيارةِ المشركين فـي الحيـاة، وقبـورِهم بعد الوفاة؛ لأنَّه إذا جازت زيارتُهم بعد الوفـاة ففِـي الحيـاة أولَـى، وقـد قـال اللـه تعـالى:

{**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**}، وفيه النَّهيُ عن الاستغفار للكفَّار، قال القاضي عياض رحمه الله: سببُ زيارتِه ﷺ قبرها أنَّه قصَد قوة الموعظة والذِّكرى بمُشاهدةِ قبرِها؛ ويُؤيِّده قوله ﷺ في آخر الحديث: فزوروا القبور؛ فإنَّها تُذِّكركم الموت)).

وقال أيضاً: ((قوله: فبكى وأَبْكى من حوله، قال القاضي: بكاؤُه ﷺ على ما فاتها من إدراك أيَّامِه والإيمان به)).

وقال البيهقيُّ في السنن الكبرى (7/190)ـ ((وأبواه كانا مشركَين؛ بدليل ما أخبرنا ...))، ثمَّ ساق بإسناده حديثَ أنسٍ: ((إنَّ أبي وأباك في النَّار))، وبإسنادِه حديث أبي هريرة في استئذانِه ﷺ في أن يستغفرَ لأمِّه فلَم يُؤذن له، وهما اللَّذان أخرجهما مسلم.

وعلى هذا فالثابتُ عن رسول الله ﷺ كون أَبوَيه ماتا مشركَين، وأنَّهما في النَّار، ولَم يثبت شيءٌ يدلُّ على خلاف ذلك، وما ذكره مَن قال بإحيائهما له ﷺ وإسلامِهما ليس بصحيح؛ لعدم ثبوته من حيث الإسناد؛ لأنَّ فيه مجاهيل، كما ذكر ذلك ابنُ كثير وغيرُه.

وفي مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (4/324 ـ 327):

« سُئل الشيخ رحمه الله تعالى:

هل صحَّ عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّ الله ــ تبارك وتعالى ـ أحيا له أَبَويه حتى أَسلَما على يديْه، ثمَّ ماتَا بعد ذلك؟

فأجاب: لَم يصحَّ ذلك عن أحدٍ من أهل الحديث، بل أهلُ المعرفة مُتَّفقون على أنَّ ذلك كذبٌ مُختَلَقٌ، وإن كان قد روى في ذلك

أبو بكر ـ يعني الخطيب ــ في كتابه السابق واللاحق، وذكره أبو القاسم السُّهيلي في شرح السيرة بإسنادٍ فيه مجاهيل، وذكره أبو عبد الله القرطبيُّ في التذكرة، وأمثال هذه المواضع، فلا نزاع بين أهل المعرفة أنَّه من أظهرِ الموضوعات كذباً كما نصَّ عليه أهلُ العلم، وليس ذلك في الكتب المعتمدَة في الحديث، لا في الصحيح، ولا في السنن، ولا في المسانيد ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفة، ولا ذكره أهل كتب المغازي والتفسير، وإن كانوا قد يَروُون الضعيفَ مع الصحيح؛ لأنَّ ظهورَ كذب ذلك لا يخفى على مُتديِّن، فإنَّ مثلَ هذا لو وقعَ لكان مِمَّا تتوافرُ الهِمَمُ والدَّواعي على نقلِه، فإنَّه من أعظمِ الأمورِ خرقاً للعادة من وجهين:

من جهة إحياءِ الموتى، ومن جهةِ الإيمانِ

بعد الموتِ، فكان نقلُ مثل هذا أولَى من نقلِ غيرِه، فلَمَّا لَم يروِه أحدٌ من الثقـاتِ عُلِـم أنَّـه كذبٌ.

والخطيبُ البغداديُّ هو في كتاب "السابق واللاحق" مقصوده أن يـذكر مَـن تقـدَّم ومَـن تأخَّر من المُحدِّثين عن شـخصٍ واحـد، سـواء كان الذي يروونه صدقاً أو كذباً، وابنُ شـاهين يروي الغـثَّ والسَّـمينَ، والسُّـهيليُّ إنَّمـا ذكـر ذلك بإسنادٍ فيه مجاهيل.

ثـمَّ هـذا خلاف الكتـاب والسُّـنَّة الصـحيحة والإجمـاع، قـال اللـه تعـالى: {**إِنَّمَا التَّوْبَـةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَـةٍ ثُمَّ يَتُوبُـونَ مِـن قَرِيـبٍ فَأُولَئِـكَ يَتُـوبُ اللهُ عَلَيْهِـمْ وَكَـانَ اللـهُ عَلِيمًـا حَكِيمًـا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّـيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَـالَ إِنِّـي**

تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ}.

فبيَّن الله تعالى أنَّه لا توبة لِمَن مات كافراً، وقال تعالى: {**فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ**}، فأخبر أنَّ سنَّتَه في عبادِه أنَّه لا ينفع الإيمانُ بعد رؤية البأس، فكيف بعد الموت؟ ونحو ذلك من النصوص.

وفي صحيح مسلم: أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: أين أبي؟ قال: ((إنَّ أباكَ في النار))، فلمَّا أدبَر دعاه، فقال: ((إنَّ أبي وأباك في النَّار)).

وفي صحيح مسلم أيضاً أنَّه قال: ((استأذنتُ ربِّي أن أزورَ قبرَ أمِّي فأذِن لِي، واستأذنته في أن أستغفرَ لها فلَم يأذن لِي،

فزوروا القبورَ؛ فإنَّها تُذكِّرُ الآخرة)).

وفي الحديث الذي في المسند وغيره قال: ((إنَّ أمِّي مع أُمِّك في النَّار)).

فإن قيل: هذا في عام الفتح، والإحياءُ كان بعد ذلك في حَجَّة الوداع، ولهذا ذكر ذلك مَن ذكره، وبهذا اعتذر صاحبُ التذكرة، وهذا باطلٌ لوجوه:

ـ الأول: إنَّ الخبرَ عمَّا كان ويكون لا يدخله نسخٌ، كقوله في أبي لَهب: {**سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**}، وكقوله في الوليد: {**سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا**}.

وكذلك في: ((إنَّ أبي وأباك في النار))، و((إنَّ امِّي وأمَّك في النَّار))، وهذا ليس خبراً عن نارٍ يخرج منها صاحبُها كأهل الكبائر؛ لأنَّه لو كان كذلك لجاز الاستغفارُ لهما، ولو كان

قد سبق في علمِ الله إيمانُهما لَم يَنهَهُ عن ذلك، فإنَّ الأعمالَ بالخواتيم، ومَن ماتَ مؤمناً فإنَّ الله يغفرُ له، فلا يكون الاستغفارُ له مُمتَنِعاً.

ـ الثاني: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ زارَ قبرَ أُمِّه؛ لأنَّها كانت بطريقه بالحجون عند مكة عام الفتح، وأمَّا أبوه فلم يكن هناك، ولم يَزُره؛ إذ كان مدفوناً بالشام في غير طريقه، فكيف يُقال: أُحْيِيَ له؟!

ـ الثالث: إنَّهما لو كانا مؤمنين إيماناً ينفع كانا أحقَّ بالشُّهرةِ والذِّكر من عمَّيه: حمزة، والعباس، وهذا أبعد مِمَّا يقوله الجُهَّال من الرافضة ونحوهم مِن أنَّ أبا طالب آمن، ويحتجُّون بِما في السيرة من الحديث الضعيف، وفيه أنَّه تكلَّم بكلامٍ خفيٍّ وقت الموت.

ولو أنَّ العبَّاس ذكر أنَّه آمن لَمَا كان قال للنبيِّ ﷺ: عمُّك الشيخ الضَّال كان ينفعُك، فهل نفعتَه بشيءٍ؟ فقال: ((وجدتُه في غمرة من نارٍ، فشفعتُ فيه حتى صار في ضحضاحٍ من نار، في رجليه نعلان من نارٍ يَغلِي منهما دماغُه، ولولا أنا لكان في الدَّرك الأسفل من النار)).

هذا باطلٌ مُخالفٌ لِما في الصحيح وغيره، فإنَّه كان آخر شيءٍ قاله: هو على ملَّة عبد المطلب، وأنَّ العبَّاس لَم يشهد موتَه، مع أنَّ ذلك لو صحَّ لكان أبو طالبٍ أحقَّ بالشُّهرةِ من حمزة والعبَّاس، فلَمَّا كان من العلم المتواترِ المستفيض بين الأُمَّة خلفاً عن سلَفٍ أنَّه لَم يُذكَر أبو طالب ولا أبواه في جملة من يُذكرُ من أهله المؤمنين، كحمزة، والعبَّاس، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين رضي الله

عنهم، كان هذا من أَبيَنِ الأدلَّـةِ علـى أنَّ ذلـك كذبٌ.

ـ الرابع: أنَّ الله تعالى قال: {**قَـدْ كَـانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيـمَ وَالَّـذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَـوْمِهِمْ إِنَّـا بُـرَآءُ مِنكُـمْ**} إلى قوله: {**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَـكَ مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ**}، الآيـة، وقـال تعـالى: {**وَمَا كَـانَ اسْـتِغْفَارُ إِبْرَاهِيـمَ لأَبِيـهِ إِلاَّ عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ**}.

فـأمرَ بالتَّأسـي بـإبراهيم والـذين مع ه، إلاَّ في وعد إبراهيم لأبيه بالاسـتغفار، وأخـبرَ أنَّـه لَمَّا تبيَّن له أنَّه عدوٌ لله تبرَّأ منـه، والله أعلـم)). اهـ.

وأمَّا تعويلُ الكاتب على رسائل السيوطي في نجـاةِ الأَبَـوَين، فجـوابُه أنَّ السـيوطيَّ لَـم

يأت بشيء ثابتٍ في ذلك يُعوَّلُ عليه، وقد ألَّف الشيخ علي مُلاَّ القاري الحنفي رسالةً في الردِّ عليه، وبيان أدلة معتقد أبي حنيفة في ذلك.

وقال فيها (ص:85 ـ 87): « والعجبُ من الشيخ جلال الدِّين السيوطي ــ مع إحاطتِه بهذه الآثار التي كادت أن تكون متواترةً في الأخبار ــ أنَّه عَدَل عن مُتابعةِ هذه الحجَّة، وموافقة سائر الأئمَّة، وتَبِع جماعةً من العلماء المتأخِّرين، وأورد أدلَّةً واهيةً في نظر الفضلاء المعتَبَرين، منها أنَّ الله سبحانه أحيا له أبويه حتى آمنا به؛ مُستدلاًّ بِما أخرجه ابنُ شاهين في الناسخ والمنسوخ، والخطيب البغدادي في السابق واللاحق، والدارقطني وابن عساكر، كلاهما في غرائب مالك بسندٍ ضعيف عن عائشة رضي الله عنها قالت:

(حجَّ بنا رسـول الله صـلَّى اللـه تعـالى عليـه وسـلَّم حجَّـةَ الـوداع، فَمَـرَّ بـي علـى عَقبـة الحجون، وهو باكٍ حزينٌ مغتَمٌّ، فنزل، فمكـث عنِّي طويلاً، ثمَّ عـاد إلـيَّ وهـو فـرِحٌ، فتبسَّـم، فقلتُ له؟ فقال: ذهبـتُ لقـبر أُمِّـي، فسـألتُ الله أن يُحيِيَهـا، فـآمنت بِـي، وردَّهـا الله عـزَّ وجلَّ).

وهـذا الحـديثُ ضـعيفٌ باتِّفـاق المُحـدِّثين، كما اعترف به السيوطي، وقال ابن كثير: إنَّـه منكرٌ جدًّا، ورواتُه مجهولون)). اهـ.

ثـمَّ كيـف يزعـم الكـاتبُ أنَّ القـولَ بكـون أَبَوي الرسول في النار فيه إيذاءٌ للرَّسول ، وهو مَبنِيٌّ على سُنَّةٍ ثابتـةٍ عـن رسـول الله فـي صـحيح مسـلم وغيـره؟!! بخلاف القـول بإحياءِ الأبَوين وإسـلامهما ــ وهـو الـذي عـوَّل عليه الكاتب ـ فإنَّه لَـم يثبـت فـي السُّـنَّةِ عـن

رسول الله ﷺ، وهو قولٌ على الله ورسوله بغير علم، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: {**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**}.

* * *

15 ـ قال الكاتبُ: « كفَّرتُم ابنَ عَرَبي، ثمَّ أَلحقتُم به حُجَّةَ الإسلام الغزالي، ثمَّ التَفَتُّم لأبي الحسن الأشعري ».

والجواب: أن يُقال: أمَّا أبو الحسن الأشعريّ، فإنَّ آخرَ أمرِه أنَّه في الاعتقاد على طريقةِ أهل الحديث، كما جاء ذلك عنه في كتابَيه: المقالات، والإبانة.

والأشاعرةُ المنتَسِبون إليه ليسوا على

عقيدتِه التي هو عليها فـي آخـر أمـرِه، وعلـى هذا فأيُّ تكفيرٍ أو تبديعٍ حصـل لـه مِمَّـن زعـم الكاتبُ نُصحَهم؟!

وأمَّا الغزالي فهو في الاعتقادِ على طريقة المتكلِّمين، ولكن نقل بعضُ العلمـاء مـا يـدلُّ على رجوعِه، قال ابنُ أبي العز الحنفي شارح العقيدة الطحاويـة (ص:243 ــ 244) ــ وهـو فـي مَعـرض ذكـره جماعـةً مـن المتكلِّميـن حصلت لهم الحيرة ـ قال: ((وكذلك الغزالي ـ رحمـه الله ــ انتهـى آخـرُ أمـرِه إلـى الوقـف والحيرة في المسائل الكلاميَّة، ثمَّ أعرَضَ عن تلك الطُّرُق، وأقبَل على أحـاديث الرَّسـول ، فمات و(البخاري) على صدره)).

وكتـابه "إلجـام العـوام عـن علـم الكلام" اشـتمل علـى التحـذير مـن الاشـتغال بعلـم الكلام، والحثِّ على الاشتغال بالكتاب والسُّنَّة

وما كان عليه سلف الأُمَّة.

وعلى هذا فمن أيـن للكـاتبِ أنَّ مَـن زعـم نُصحَهم كفَّروه؟!

وأمَّا ابن عَربي الطائي صاحب الفصــوص، القائل بوحـدة الوجـود، فـإنَّ مَـن يقـف علـى كلامِه في فصوصه لا يتوقَّف في تكفيرِه، وقد ألَّف الشيخ برهـان الـدِّين البقـاعي المتـوفى سنة (885هـ) كتاباً سَمَّاه: "تنبيه الغبي علـى تكفير ابن عربـي"، يقـع فـي (241) صـفحة، قال في مقدِّمتِه:

« وبعد، فإنِّي لَمَّا رأيتُ النـاسَ مضـطربين فـي ابـن عربـي ــ المنسـوب إلـى التصـوُّف، الموسوم عند أهل الحق بالوحدة، ولم أرَ مَـن شفى القلـبَ فـي ترجمتـه، وكـان كفـرُه فـي كتابه الفصوص أظهرَ منه في غيـره ــ أحببـتُ

أن أذكرَ منه ما كان ظاهراً؛ حتى يُعلم حالُه، فيُهجر مقالُه، ويُعتقَد انحلالُه، وكفرُه وضلالُه، وأنَّه إلى الهاوية مآبُه ومآلُه، وامتثالاً لِما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ قال: (مَن رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لَم يستطع فبلسانه، فإن لَم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان)، وفي رواية عن عبد الله بن مسعود: (وليس وراء ذلك من الإيمان مثقالُ حبَّةٍ من خَردَل).

وما أَحضَر إليَّ النسخة التي نقلتُ ما تراه إلاَّ شخصٌ من كبار مُعتقديه وأتباعه ومُحبِّيه ».

إلى أن قال: « وسَمَّيتُ هذه الأوراق "تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي"، وإن شئتَ فسمِّها "النصوص من كفر الفصوص"؛ لأنِّي لَم أستشهد على كفرِه وقبيحِ أمرِه إلاَّ بما لا

ينفع معه التأويل من كلامِه، فإنَّه ليس كلُّ كلامٍ يُقبل تأويلُه وصرفُه عن ظاهرِه)). اهـ.

وأَكتفي بأن أنقلَ للأذكياء والأغبياء جُملاً من كلام ابن عربي في فصوصه التي أوردها البقاعيُّ في كتابه، مشيراً في ذلك إلى الصفحات المنقول منها، ثمَّ أُشيرُ إلى جملة الذين نقل عنهم القول بتكفيره أو ذمِّه ذمًّا شنيعاً، مع ذكر أسماء جماعة من الذين صرَّحوا بكفرِه أو ذمِّه ذمًّا شنيعاً، ونقل شيءٍ من كلامِهم في ذلك.

فمِن أقوال ابن عربي:

ـ قوله (ص:49): (({**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَارًا**}: وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر الاعتباري!!

{**وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ**}: أي بِما يَميل بكم إليه، فإذا مال بكم إليه رأيتُم صورتَكم فيه،

فمَن تخيَّـل منكـم أنَّـه رآه فمـا عـرف! ومَـن عـرف منكـم أنَّـه رأى نفسَـه فهـو العـارف!! فلهذا انقسم الناسُ إلى غيـر عـالِم وعـالِم!!! ».

ـ وقوله (ص:51): « {**وَقَضَى رَبُّكَ أَن لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**}: أي حكم، فالعالم يعلـم مَن عَبد، وفي أيِّ صورةٍ ظهر حـتى عُبـد، وأنَّ التفريــقَ والكــثرة كالأعضــاء فــي الصــورة المحسوسة، وكالقِوى المعنويَّة فـي الصـورة الروحانية، فما عُبد غير الله في كلِّ معبود!!! ».

ـ وقوله (ص:60): « {**إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ**}: أي: تَدَعهم وتتركهم، {**يُضلُّوا عِبَادَكَ**}: إلى الخير!! فيُخرجوهم من العبودية إلى ما فيهـم من أسرار الربوبية، فينظرون أنفسهم أربابــاً بعد ما كانوا عند أنفسِـهم عبيـداً، فهـم العبيـد

الأرباب!!!)).

ـ وقـوله (ص:60 ــ 61): (({**رَبِّ اغْفِرْ لِي**}: اسـترني، واسـتر مـن أجلـي، فيُجهل مقامي وقدري، كما جُهل قدرُك في قولـك، {**وَمَا قَـدَرُوا اللـه حَـقَّ قَدْرِهِ**}.

{**وَلِوَالِدَيَّ**}: من كنتُ نتيجة عنهما، وهما العقل والطبيعة!!

{**وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ**} أي: قلبي!!

{**مُؤْمِنًا**}: أي مصدِّقاً لما يكـون فيـه م ن الإخبارات الإلَهية، وهو ما حدثت به أنفسها!!

{**وَلِلمُؤْمِنِينَ**}: من العقول!!

{**وَلِلمُؤْمِنَاتِ**}: من النفوس!!)).

ـ وقــوله (ص:61):ــ ((ومــن أســمائه الحسنى: العلي، على مَن وما ثـمَّ إلاَّ هـو؟!!!

فهو العليُّ لذاته.

أو عن ماذا، وما هو إلاَّ هو؟!!! فعلُوُّه لنفسه، وهو من حيث الوجود عينُ الموجودات، فالمسمَّى مُحدثات هي العليَّة لذاتها، وليست إلاَّ هو!!)).

ـ وقوله (ص:62):ـ ((فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثمَّ من يراه غيره، وما ثَمَّ مَن يُبطنُ عنه، فهو ظاهر لنفسه، باطنٌ عنه، وهو المسمَّى أبا سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المُحدثات!!!)).

ـ وقوله (ص:68):ـ {**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**}: فما نكح سوى نفسه، فمنه الصاحبة والولد، والأمر واحدٌ في العدد!!!)).

ـ وقوله (ص:84):ـ (({**مَا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ**

هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}: فكلُّ ماشٍ فعلى صراط الربِّ المستقيم، فهم غير مغضوب عليهم من هذا الوجه، ولا ضالُّون، فكما كان الضلالُ عارضاً، فكذلك الغضبُ الإلَهي عارض، والمآل إلى الرَّحمة التي وسعت كلَّ شيء!!!)).

ـ وقوله (ص:89):ـ ((ألا ترى عاداً قوم هود كيف قالوا: {**هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**}؟ فظنُّوا خيراً بالله تعالى

ـ وهو عند ظنِّ عبده به ـ فأضرب لهم الحقُّ عن هذا القول، فأخبرهم بما هو أتَمُّ وأعلى في القُرب؛ فإنَّه إذا أمطرهم فذلك حظُّ الأرض وسقي الحبِّ، فما يَصِلون إلى نتيجة ذلك المطر إلاَّ عن بُعد، فقال لهم: {**بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**}، فجعل الرِّيحَ إشارةً إلى ما فيها من الراحة؛

فـإنَّ بهـذه الريـح أراحهـم مـن هـذه الهياكـل المظلمـــة والمســـالك الـــوعرة والســـدف المدلهمة!!

وفـــي هـــذه الريـــح عـــذابٌ، أي: أمـــرٌ يستعذبونه إذا ذاقوه، إلاَّ أنَّـه يـوجِعُهم لفُرقـة المألوف!!)).

ـ وقوله (ص:93):ـ ((فقُلْ فـي الكـون مـا شئتَ، إن شئتَ قلتَ: هو الخلـق، وإن شـئتَ قلتَ: هو الحق، وإن قلتَ: هو الحـقُّ الخلـق، وإن شئتَ قلتَ: لا حق من كلِّ وجه، ولا خلـق من كلِّ وجه، وإن قلتَ بالحيرة في ذلك؛ فقـد بـانت المطـالب بتعيينـك المراتـب، ولـولا التحديدُ ما أخبرت الرُّسـل بتحـوُّل الحـقِّ فـي الصُّوَر، ولا وصفته بخلع الصُّوَر عن نفسه:

فلا تنظر العينُ إلاَّ إليه ولا يقع الحكم إلاَّ عليه!!)).

ـ وقـوله (ص:102):ـ ((وأمَّـا أهـل النـار فمآلُهم إلى النَّعيم، ولكـن فـي النَّـار؛ إذ لا بـدَّ لصورة النَّار ــ بعـد انتهـاء مـدَّة العقـاب ــ أن تكـون بـرداً وسـلاماً علـى مَـن فيهـا!! وهـذا نعيمُهـم، فنعيـمُ أهـل النَّـار ــ بعـد اسـتيفاء الحقـوق ــ نعيـم خليـل الله حيـن أُلقـيَ فـي النَّار!!! فإنَّه ـ عليـه السـلام ــ تعـذَّب برؤيتِهـا وبما تعوَّد فـي علمِـه وتقـرَّر مـن انَّهـا صـورةٌ تؤلِم مَن جاوَرَها من الحيوان، وما علـم مـرادَ الله فيهـا ومنهـا فـي حقِّه، فبعـد وجـود هـذه الآلام وَجَدَ برداً وسـلاماً، مـع شـهود الصـورة اللونية في حقِّه، وهي نارٌ فـي عيـون النـاس، فالشيءُ الواحد يتنـوَّع فـي عيـون النـاظرين، هكذا هو التجلِّي الإلَهي!!!)).

ـ وقـوله (ص:112):ـ ((وكــان موسـى ــ عـليه السلام ـ أعلمَ بـالأمر مـن هـارون؛ لأنَّـه

علم ما عَبَده أصحابُ العِجل؛ لعلمه بـأنَّ اللـه قضى ألاَّ نعبدَ إلاَّ إيَّاه، وما حكـم اللـه بشـيء إلاَّ وقع، فكان عتْبُ موسى أخـاه هـارون لمـا وقـع الأمـر فـي إنكـاره وعـدم اتِّسـاعه؛ فـإنَّ العارفَ مَن يرى الحقَّ في كلِّ شيء، بل يراه عينَ كلِّ شيء!!!)).

قـال الشـيخ زيـن الـدِّين العراقـي: ((هـذا الكلامُ كفرٌ من قائلِه من وجوه:

أحدها: أنَّه نسب موسى ـ عليـه السـلام ــ إلى رضاه بعبادة قومِه للعجل.

الثاني: استدلالُه بقوله تعـالى: {**وَقَضَـى رَبُّكَ أَن لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**}، على أنَّـه قـدَّرَ أن لا يُعبد إلاَّ هو، وأنَّ عابدَ الصنَمِ عابدٌ له.

الثالث: أنَّ موسى ـ عليـه السـلام ــ عتـبَ على أخيه هارون ـ عليهما السلام ـ إنكاره لِما

وقع، وهذا كذبٌ على موسى عليه السلام، وتكذيب لله فيما أخبر به عن موسى من غضبِه لعبادتِهم العجل.

الرابع: أنَّ العارفَ يرى الحقَّ في كلِّ شيءٍ، بل يراه عين كلِّ شيء، فجعل العجلَ عين الإلَه المعبود!!! فليعجب السامعُ لمثل هذه الجُرأة التي لا تصدر مِمَّن في قلبِه مثقال ذرَّة من إيمان!)).

ـ وقوله (ص:118) عند قوله تعالى: {**قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ**}: ((وكان قرَّةَ عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه طاهراً مطهَّراً، ليس فيه شيءٌ من الخبَث؛ لأنَّه قبضه عند إيمانِه قبل أن يكتسبَ شيئاً من الآثام، والإسلامُ يَجُبُّ ما قبله، وجعله آيةً على عنايتِه سبحانه وتعالى

بِمَن شاء؛ حتى لا ييأس أحدٌ من رحمة الله، فإنَّه لا ييأس من رَوْحِ الله إلاَّ القوم الكافرون!!!)).

وبعد وقوفِ القارئ على هذه النقول من كتاب الفصوص لابن عربي بواسطة كتاب الشيخ برهان الدِّين البقاعي، وهي في غاية السوءِ، وقائلُها في غاية الجُرأة على الله، أُضيف إلى ذلك نقلاً عنه في مطلع كتابه الفصوص، فيه الجرأةُ على رسول الله ، في رؤيا مناميَّة زعم فيها أنَّ رسول الله أعطاه كتاب الفصوص، وأمره بأن يخرجَ به إلى الناس لينتفعوا به، وهو قوله (ص:38):

((أمَّا بعد، فإنِّي رأيتُ رسولَ الله في مُبَشرة أُريتُها في العشر الآخر من محرَّم سنة سبعٍ وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده كتابٌ، فقال لي: هذا كتاب

فصوص الحِكَم! خذْه، واخرُج بـه إلـى النـاس ينتفعـون بـه، فقلـتُ: السَّـمعُ والطاعـةُ للـه ولرسوله وأولي الأمر منَّا، كما أُمرنا، فحققتُ الأُمنيــة، وأخلصــتُ النيَّــة، وجــرَّدتُ القصــدَ والهِمَّة إلى إبـراز هـذا الكتـاب كمـا حـدَّه لـي رسولُ الله من غير زيادةٍ ولا نقصان)).

وإذا كـان ابـنُ عربـي صـادقاً فـي حصـول رؤياه، فلا شكَّ أنَّه لَـم يـر النَّبِـيَّ ، وإنَّمـا رأى شـيطاناً، وقـد قـال الشـيخ بـدر الـدِّين بـنُ جماعة: ((وحاشا رسول اللـه أن يـأذن فـي المنامِ فيما يُخالفُ أو يُضـادُّ قواعـدَ الإسـلامِ، بـل ذلـك مـن وسـاوِس الشـيطان ومحنتِـه، وتلاعبه برأيه وفتنتِه، وأمَّا إنكارُه ــ يعنـي ابـن عربـي ــ مـا ورد فـي الكتـاب والسُّـنَّة مـن الوعيـد، فهـو كـافرٌ بـه عنـد علمـاء التوحيـد، وكذلك قوله في نوح وهود ـ عليهما السـلام ــ

قول لغـو باطـل مـردود)). تنـبيه الغـبي (ص: 140).

وبعد هـذا أقـول للبـوطي والرِّفـاعي: هـذا التَّائه الذي يقول (بإيمان فرعون، وأنَّ عـذابَ النَّار نعيمٌ لأهلها، وأنَّ عُبَّادَ العِجل إنَّمـا عبـدوا الله؛ لأنَّـه حـالٌّ فـي المخلوقـات، وأنَّ الريـحَ الـتي عُـذِّبت بهـا عـادٌ راحـةٌ لهـم وأمـرٌ يستعذبونه!!!).

أقول: هـذا التَّـائهُ القائـل بهـذا الكفـر، ألاَ يكون كافراً عدوًّا لله؟!

ومع هذه الأقوال القبيحة الشنيعة هو عنـد جماعات من الصوفيَّة ولِيٌّ من أولياء الله!!

ثمَّ ألاَ يستحقُّ ابنُ عربي الذمَّ من البوطيِّ والرفـاعيِّ، أم أنَّ الأحـقَّ بـذمِّهما مَـن زعمَـا نُصـحَهم، وعابَـا عليهـم تكفيـره؟! {**مَا لَكُـمْ**

كَيْـفَ تَحْكُمُـونَ}؟! {**أَتَسْـتَبْدِلُونَ الَّـذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُـوَ خَيْـرٌ**}؟! ومعلـومٌ أنَّ الباءَ في مثل هذا تدخل على المتروك.

وأمَّـا العلمـاء الـذين نقـل عنهـم البقـاعيُّ تكفيرَ ابن عربي أو ذمَّه ذمَّـا شـنيعاً، فعـددهم يُقاربُ الخمسين.

ومِمَّن نقل عنهم القولَ بكفره:

الحـافظ ابـن حجـر العسـقلاني وشـيخه سراج الدِّين عمر البلقينِي (ص:159)، وزين الدِّين العراقي (ص:52)، وابنه أبو زرعة وليُّ الـدِّين العراقـي (ص:124)، وشـمس الـدِّين الذهبي (ص:161)، وعبد الرحمن بن خلدون (ص:163)، وبـدر الـدِّين بـن جماعـة (ص: 140)، وشـمس الـدِّين محمـد بـن يوسـف الجـزري (ص:141)، وحفيـدُه إمـام القـرَّاء

محمـد بـن محمـد الجـزري صـاحب الجزريـة (ص:176)، وعلي بن يعقوب البكـري (ص: 144)، ومحمد بن عقيل البالسي (ص:146)، وابن هشـام، صـاحب مغنـي اللـبيب، وأوضـح المسـالك فـي ألفيـة ابـن مالـك (ص:150)، وشـمس الـدِّين محمـد العيـزري (ص:152)، وعلاء الـدِّين البخـاري الحنفـي (ص:164)، وعلي بـن أيـوب (ص:182)، وشـرف الـدِّين عيسـى بـن مسـعود الـزواوي المـالكي (ص: 143)، وشمس الدِّين الموصلي (ص:154)، وزين الدِّين عمر الكتاني (ص:142)، وبرهان الدِّين السـفاقيِنِي (ص:159)، وسـعد الـدِّين الحارثي الحنبلـي (ص:153)، ورضـي الـدِّين بن الخياط (ص:163)، وشهاب الـدِّين أحمـد ابن علي الناشري (ص:163).

ومِـن الـذين ذمُّـوه ذمًّـا شـنيعاً يـدلُّ علـى

تكفيره: محمد بن علي النقاش، قال في وحدة الوجود (ص:147):ـ ((وهو مذهبُ المُلحدين، كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض، مِمَّن يجعلُ الوجودَ الخالق هو الوجود المخلوق!!)).

ومنهم: أبو حيَّان الأندلسي صاحبُ التفسير، فقد ذكر في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى: {**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ بنُ مَرْيَمَ**} (ص:142 ــ 143):ـ ((ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط مَن أقرَّ بالإسلامِ ظاهراً، وانتمى إلى الصوفية حلولَ الله في الصُّوَر الجميلة، ومَن ذهب من ملاحدَتِهم إلى القول بالاتِّحاد والوحدة كالحلاَّج، والشعوذي، وابن أحلى، وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين)) ـ وعدَّ جماعةً ثمَّ

قال ـ: « وإنَّما سردتُ هؤلاءِ نصحاً لدين الله ـ يعلمُ اللهُ ذلك ـ وشفقَةً على ضعفاء المسلمين.

وليُحذَروا؛ فإنَّهم شرٌّ من الفلاسفة الذي يُكذِّبون اللهَ ورسلَه، ويقولون بِقِدم العالَم، ويُنكرون البعثَ، وقد أُولِع جهلةٌ مِمَّن ينتمي إلى التصوُّف بتعظيمِ هؤلاء، وادِّعائهم أنَّهم صفوةُ الله!! ».

ومِنهم: تقيُّ الدِّين السُّبكي (ص:143)، فقد قال:

« ومَن كان من هؤلاء الصوفية المتأخِّرين كابن عربي وغيره، فهم ضُلاَّلٌ جُهَّالٌ، خارجون عن طريقة الإسلام، فضلاً عن العلماء ».

وقد مرَّ نقلُ كلام بدر الدِّين بن جماعة

وزين الدِّين العراقي فـي تكفيـر ابـن عربـي، ومِن أقوال الذين صرَّحوا بتكفيره قـول إمـام القرَّاء شمس الدِّين بن الجـزري (ص:175 ــ 176)ـ « ومِمَّـا يجـب علـى ملـوك الإسـلامِ، ومَن قَدَرَ على الأمرِ بـالمعروفِ والنَّهـيِ عـن المنكـر أن يُعـدِموا الكتـبَ المخالفـةَ لظـاهِر الشرع المُطهَّر من كتب المـذكور وغيـره، ولا يُلتَفَتُ إلى قول مَن قال: هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يُؤوَّل؛ فإنَّه غلطٌ مـن قـائلِه، إنَّما يُؤوَّل كلام المعصوم، ولو فُتِح بابُ تأويـلِ كلِّ كلام ظاهرُه الكفـر، لَـم يكـن فـي الأرضِ كافر ».

ومعلـومٌ أنَّ تأويـلَ كلام المعصـومِ إنَّمـا يكون بردِّ المتشابه إلى المُحكَم.

وبعد نقل هذه الجُمَل من كلام ابـن عربـي المقتضية لكفره، وذِكر هـؤلاء العلمـاء الـذين

كفَّروه، لا يبقى وجهٌ لأَن يعيبَ الكاتبُ على مَن زعم نُصحَهم تكفيرَهم لابن عربي، حيث قال: ((كفَّرتُم ابنَ عربي))، والله المستعان، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

16 ـ قال الكاتب تحت عنوان: ((تزوير التراث)):

((دأبتُم على أن تحذِفوا ما لا يُعجِبُكم ويُرضيكم من كتب التراث الإسلامي ...)).

وقال: ((ومِمَّا حُذف أو غُيِّر وزُوِّر))، فذكر أشياءَ منها: ((حاول الشيخُ ابن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (سابقاً) أن يستدرك على ما لا يُعجبُه في كتاب "فتح الباري بشرح البخاري" للإمام الحافظ ابن حجر

العسقلاني، فأصدرَ مع مُعـاوِنيه ثلاثـة أجـزاء، ثمَّ توقَّف عن التعليق، وقد فتح بابَ شرٍّ بهـذه التعليقات)) !!!

والجواب: أنَّ مـا ذكـره ـ علـى زعمـه ـ يرجـع إلـى الحـذف أو التغييـر والـتزوير، ومـا نسبه إلى الشيخ عبد العزيز ابن بـاز لا علاقـة له بالحذف، فبقي أن يكون من قبيـل التغييـر والـتزوير، وأيُّ تغييـر وتزويـر يكـون بـالتعليق علـى كتـاب وتعقُّـبِ بعـضِ مـا فيـه؟! وهـذه طريقةٌ مسلوكةٌ قديماً وحديثاً، مع أنَّ الشيخَ ـ رحمه الله ـ عند تعقُّبه في غايـة الأدب، حيـث يقول: ((هذا القول فيه نظـر، والصـوابُ كـذا وكذا)).

أمَّا قول الكاتب عن تعليقات الشيخ رحمه الله: ((وقد فتح باب شرٍّ بهذه التعليقات!!!)) فهو من سوء الأدب مع أهل العلـم، وأيُّ بـابِ

شرٍّ فُتِح بهذا العمل؟!

فإنَّ الشيخَ عبد العزيز بن باز ـ رحمه اللـه ـ معروفٌ لدى كـلِّ مُنصِـفٍ بـأنَّه مـن مفاتيـح الخيــر ومغــاليق الشــرِّ، وقــد قــال الإمــامُ الطحاويُّ ـ رحمه الله ـ في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: ((وعلمـاء السَّـلف مـن السَّـابقين ومَن بعدهم من اللاَّحقين أهـل الخـبر والأثـر، وأهل الفقه والنَّظر، لا يُـذكرون إلاَّ بالجميـل، ومَن ذكرهم بسوءٍ فهو على غير السَّبيل)).

والشيخ عبد العزيز ـ رحمه الله ـ جمع اللهُ لـه بيـن الخـبر والأثـر، والفقـه والنّظـر، فهـو محدِّثٌ فقيهٌ.

وأحسَبُ الشيخَ عبد العزيز ـ رحمه اللـه ـ ولا أُزكِّي على الله أحداً، مِن خيار الناسِ فـي هذا الزَّمان، وأرجو أن يكون من الـذين قـال الله فيهـم: {**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللـهِ لاَ خَـوْفٌ**

عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله يقول: مَن عادى لِي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب))، وكانت وفاةُ الشيخ عبد العزيز ـ رحمه الله ــ في 27 من شهر المحرم من عام 1420هـ، وقد ألقيتُ عقِبَ وفاتِه محاضرةً في الجامعة الإسلامية بالمدينة بعنوان: ((الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، نموذجٌ من الرَّعيل الأول))، وقد تَمَّ طبعُها.

ومنها قال الكاتب: ((فُسح إلى أبي بكر الجزائري بأن يعملَ تفسيراً للقرآن الكريم يكون بديلاً ومنافساً لتفسير الجلالَين، ولبَّس على الناسِ أنَّه هو؛ ليَتمَّ ترويجُه على العامة!!)).

والجواب: أنَّ اسمَ تفسير الشيخ أبي بكر الجزائـري: "أيسـرُ التفاسـير لكلام العلـيِّ الكبير"، ويقع في خمسة مجلـدات، وهـو فيـه يُثبـتُ الآيـات، ويـأتي بمعـاني الكلمـات، ثـمَّ معاني الآيات، ثمَّ هدايـة الآيـات، وهـي عبـارة عن فوائـد تُسـتنبَطُ مـن الآيـات، وهـو بخلاف تفسير الجلالَين، الذي هو مشهور بهذا الاسم، وهو تفسيرٌ على طريقة المتكلِّمين

في غاية الاختصار، يكون التفسير بين كلمـات الآيات، ومِن أمثلة ذلك تفسيرُه لآخر آيـةٍ مـن سورة المائـدة، حيـث جـاء فيـه كمـا هـو فـي الطبعة التي عليها حاشية الصاوي:

(({**للهِ مُلْكُ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ**} خزائـن المطـر والنبـات والـرِّزق وغيرهـا، {**وَمَـا فِيهِـنَّ**} أتـى بِـ (مـا) تغليبـاً لغيـر العاقـل، {**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}، ومنـه إثابـةُ

الصـادقين وتعـذيب الكـاذبين، وخـصَّ العقـلُ ذاتَه، فليس عليها بقادر!)).

والضمير في ذاتِه يرجع إلى الله، وهو مـن تكلُّف المتكلِّمين!!

وأهـل السُّـنَّةِ والجماعـة لا ينقـدِحُ فـي أذهانِهم دخولُ ذات الله تحـت قـوله: {**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}، حتَّـى يُفكِّـروا فـي إخراجِها.

وعلى هذا، فأيُّ تشابُه بيـن تفسـير الشـيخ الجزائري، وتفسير الجلالَين؟!

وأيُّ تلبيسٍ حصل سوَّغ للكـاتب أن يقـول: ((ولبَّس على الناس أنَّه هو؛ ليَتِمَّ ترويجه على العامة))؟!!

ولا يكون الكاتبُ صـادقاً إلاَّ لـو كـان اسـم تفسـير الجزائـري: "تفسـير الجلاليـن" ومـا أحوج الكاتب إلى التحلِّي بقول الله عزَّ وجلَّ:

{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}!

وقد ذكر الكاتبُ أشياءَ ادَّعى الحذفَ فيها، لَم أتعرَّض لها لعدم تَمَكُّنِي من معرفة الصدق أو الكذب فيها، ولو صحَّ شيءٌ منها، فإنَّه يُنسبُ إلى مَن فَعَلَه من الناشرين وغيرهم، ولا تَسُوغُ نسبةُ ذلك إلى مَن زعم الكاتبُ نُصحَهم في قوله: « دأبتُم على أن تحذِفوا ما لا يُعجِبُكم ويُرضيكم من كتب التراث الإسلامي ...!! ».

* * *

17 ـ ذكر الكاتب عمَّن زعم نصحهم أنَّهم أنشأوا جامعةً في المدينة المنورة سَمَّوها: « الجامعة الإسلامية »، وهَرَع الناسُ إليها؛ ظانِّين أنَّهم ستزيدُهم مَحبَّةً واتِّباعاً

للرسـول ﷺ، فصـار الأمـرُ إلـى خلاف ذلـك بزعمه!

والجواب: أنَّ الجامعةَ الإسلامية بالمدينة أُنشـئت سـنة (1381هـ)، وهـي مـن أعظـم حسنات حكومة المملكـة العربيـة السـعودية، وأجـلّ هـداياها للعـالَم الإسـلاميِّ؛ لأنَّ نسـبةَ الطلاَّب غيـر السـعوديين فيهـا تعـادِل 80 % تقريباً.

ومنـذ إنشـائها والإقبـالُ عليهـا عظيـمٌ مـن داخل المملكة وخارجها، وهي مشـتمِلَةٌ علـى كليَّـات: الشـريعة، والـدعوة وأصـول الـدِّين، والقرآن الكريم، والحـديث الشـريف، واللغـة العربيـة، وفيهـا دراسـات عليـا لمنـحِ درَجَتَـي الماجستير والدكتوراه.

وطلبتُهـا يَدرسـون فيهـا الكتـاب والسُّـنَّة

وسائرَ العلوم الشرعية، وهي تُعنَى بتوجيه طلبتِها إلى الاهتمامِ بهذه العلوم الشريفة؛ ليسيروا إلى الله على هدى وبصيرة، ويسلكوا الصراطَ المستقيم، كما قال الله عزَّ وجلَّ: **{وأنَّ هَذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}.**

وتُعنى أيضاً بتوجيه طلبَتِها إلى مَحبَّة الله ورسوله ﷺ وأصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسانٍ، وأن تكون مَحبَّتُهم للرَّسول ﷺ أعظمَ من محبَّة النَّفس والوالد والولد والناس أجمعين، كما ثبت ذلك عن الرَّسول الكريم ﷺ، لكن بدون غلُوٍّ وإطراء كما هو شأن أهل البِدع، وتُعلِّمُهم أيضاً العنايةَ باتِّباع السنن وترك البدع ومُحدثات الأمور.

وقد تخرَّج فيها حتى الآن ألوف كثيرة،

عـادوا إلـى بلادِهـم وغيـر بلادِهـم، وهـم فـي الجملــة دعــاةٌ إلــى الخيــر وإلــى الصــراط المسـتقيم، وفيهـم كـثيرون تعاقـدت معهـم حكومــة المملكــة العربيــة السـعودية للقيـام بالدعوة إلى الله والتوجيه إلى الخير فــي بلاد كثيرة إسلامية وغير إسلامية.

ومعلومٌ أنَّ هذا المنهج القويم الـذي تسـير عليـه الجامعـة لا يُعجِـبُ أهـلَ البـدع والـدعاة إليها، كمـا هـو شـأن الكـاتب؛ إذ صـارت هـذه الحسنات في نظرِه سـيِّئات، نسـأل اللـه لـه وللمقــدِّم لأوراقِــه الهدايــةَ إلــى اتِّبــاع الحــقِّ وسلوك طريقه المستقيم.

* * *

18 ـ أنحى الكاتب بـاللَّوم علـى حُكَّـام المملكة العربيـة السـعودية وقُضـاتها لقتلِهـم مُهرِّبي المخدِّرات، وكذلك أنحى باللَّوم عليهم

لقتلهم السَّحرة، وقال: « وتوَسَّعتُم في إصدار الأحكام باسم الشرع الحنيف في قتل المخالِفين لكم من أصحاب الرُّقية والعلاج الرُّوحي، وسَمَّيتُموهم (سحرة)! ولَم تُفرِّقوا بين المُحقِّين منهم وبين المُبطلين منهم، وتركتم لأنفسكم مطلق الفتوى والحكم بذلك، فأَسَلْتُم دماءَ الكثيرين من الأبرياء بحُجَّة أنَّهم سحرةٌ تُستباحُ دماؤهم، متناسين قوله تعالى: **{وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ}**، وقول البشير النذير ﷺ: (أَوَّلُ مَا يُقْضَى به بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ)، فقِفوا عند الحدودِ، وادرؤوها بالشبهات!! ».

والجواب من وجهين:

الأول: أنَّ هذا من عجيب أمر الكاتب؛ يتألَّم لعقوبة الظالمين وهم قليلون، ولا يتألَّم

لتضرُّر المظلومين وهـم كـثيرون لا يحصـون، يُشـــفق علـــى الـــذئاب ولا يُشـــفق علـــى فرائسِها!! يَعطِفُ الرِّفاعي على الأفاعي، ولا يعطِف على هلكى سُمومها!! وإنَّ مِن حسـن حظِّ المرء أن لا يكون ظهيراً للمجرمين!

الثاني: وأمَّا زعمـه أنَّ الحُكَّـامَ والقُضـاةَ توسَّـعوا فـي قتـل أصـحابِ الرُّقيـة والعلاج الروحـي، وأنَّهـم سَـمَّوهم سـحرة، وأنَّهـم لَـم يُفرِّقوا بين المُحقِّين منهم والمُبطلين، وأنَّهـم تركوا لأنفسِهم مطلق الفتوى والحكم بـذلك، فأسالوا دِماءَ الكثيرين من الأبرياء، وأنَّهـم لَـم يدرأوا الحدودَ بالشُّبهات، فجوابه أن نقول:

مِن أيـن للكـاتبِ أنَّ الحُكَّـامَ والقُضـاةَ لَـم يُفرِّقوا بين المُحِقِّ والمُبطِل، وأنَّ مَن قتلوهم أبرياء، وأنَّ هناك شبهات لَم تُدرأ بهـا الحـدود، حتى قال ما قال؟!

لكنَّه الرَّجم بالغيب واتِّباع الهوى!

ثـمَّ لمـاذا الاعـتراض علـى الحُكَّـام فـي حُكمهم، والقضاة في قضائِهم، والمُفتين فـي إفتائهم؟!

وما هي منزلـة هـذا المعـترِض فـي العلـمِ والدِّين؟

رحم الله امرأً عَرفَ قَدر نفسِه، وترك مـا لا يَعنيه إلى ما يَعنيه!

والقضاةُ لَـم يَنسَـوا الآيـةَ والحـديث، ولَـم يتناسـوهما، ولكنَّهـم اجتهـدوا للوصـول إلـى الحقِّ، وهم مأجورون على كلِّ حال؛ لقـوله ﷺ: ((إذا حكم الحاكمُ فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكـم فاجتهـد فأخطـأ فلـه أجـرٌ واحـد))، رواه البخاري ومسـلم مـن حـديث عمـرو بـن العاص رضي الله عنه.

* * *

19 ـ قال الكاتب: ((تتّهتَمُّون المخالفِين لكم من المسلمين بأنَّهم جهمية أو معتزلة مارقين (كذا)، وأنتم الجهميَّة؛ لأنَّكم وافقتموهم في بعض آرائِهم!

وحقًّا أنتم المعتزلة؛ لأنَّكم شاركتموهم في إنكار الولايةِ والأولياء، والكرامة والكرامات، وحياة الموتى، وتحكيم العقل في المغيَّبات من أمور الدِّين!!)).

والجواب: أن يُقال:

أوَّلاً: إنَّ مَن زعم الكاتب نُصحَهم لا يتَّهمون أحداً بِما ليس فيه، بل مَن كان على عقيدة الجهميَّة التي تَظهر في أقواله ومؤلَّفاته وَصَفوه بِما ظهر منه، والمشهور عن الجهميَّة نفي الأسماء والصفات، فهم أهلُ تعطيل، وأهل السنة أهلُ إثبات، لكن

بدون تشبيه؛ عملاً بقوله عزَّ وجلَّ: {**لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**}، فأثبت لنفسه السمعَ والبصر، ونفى مشابهَتَه لغيره ومشابهةَ غيره له، فلا يوافِق أهلُ السُّنَّة الجهميَّةَ في شيءٍ من آرائِهم ومعتقداتهم، فهم أبعَدُ الناسِ عنهم، وأسعدُهم في مجانبَتِهم.

ثانياً: إنَّ الذين زعم الكاتب نُصحَهم لا يُنكرون الولايةَ والأولياء، والكرامةَ والكرامات، كما زعم الكاتبُ قائلاً: إنَّهم شاركوا المعتزلة في ذلك!

وهم يُقرُّون بالولاية والأولياء، والأولياء عندهم هم الذين قال الله فيهم: {**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**}.

ويُصدِّقون بِما حصلَ ويَحصل لهؤلاء

الأولياء من الكرامات، إذا حصل ذلك على وجهٍ ثابتٍ، كقصَّة أُسَيد ابن حُضَير وعبَّاد بن بشر رضي الله عنهما، وخروجهما من عند رسول الله في ليلة مظلمةٍ وبين أيديهما نورٌ، فلَمَّا تفرَّقا تفرَّق النُّورُ معهما، وهي في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه.

وقصَّةِ تكثير الطعام لأضيافِ أبي بَكر رضي الله عنه، وهي في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، ومِمَّا قالَه الإمامُ الطحاويُّ في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الأولياء: ((والمؤمنون كلُّهم أولياءُ الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعُهم وأتبعُهم للقرآن))، وقال: ((ونؤمنُ بِما جاء من كراماتِهم، وصحَّ عن الثقات من رواياتِهم)).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ

في العقيدة الواسطية: ((ومن أصول أهل السُّنَّة: التصديقُ بكرامات الأولياء، وما يُجرِي اللهُ على أيديهم من خوارقِ العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات.

والمأثور من سالف الأُمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر قرون الأُمَّة، وهي موجودةٌ فيها إلى يوم القيامة)).

وأمَّا إذا كان الأمرُ الخارقُ للعادة جاء في حكايات هي أشبه بالخرافات، لا سيما إذا كانت واضحةً في مُخالفةِ الشرعِ، كالاستغاثةِ بغير الله من الأمواتِ والأحياء الغائبين، ويُزعم أنَّها كرامةٌ لِمن ادُّعيت له الولاية، والله أعلم بحقيقة الحال، فإنَّه لا يُلتفتُ إليه، ولا يُغتَرُّ به.

وأكتفي بالتمثيل لذلك بِما ذُكر أنَّه من كرامات العيدروس الذي قال عنه الكاتبُ: إنَّه بركةُ عدَن وحضرموت، وأشاد بِمشهدِه، ونوَّه ببناءِ قُبَّتِه، ووصفها بأنَّها مباركة!!

فقد قال عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي في كتابه النور السافر عن أخبار القرن العاشر في ترجمة
أبي بكر بن عبد الله العيدروس المتوفَّى سنة (914هـ) في (ص:79 ـ 80): « وأمَّا كراماته فكثيرة كقطر السحاب، لا تدرك بِعدٍّ ولا حساب، ولكن أذكر منها على سبيل الإجمال دون التفصيل، ثلاث حكايات تكون كالعنوان على باقيها بالدلالة والتمثيل، منها:

أنَّه لَمَّا رجع من الحجِّ دخل زيلع، وكان الحاكم بها يومئذ محمد بن عتيق، فاتفق أنَّه ماتت أمُّ ولد للحاكم المذكور، وكان مشغوفاً

بها، فكاد عقلُه يـذهب بموتِهـا، فـدخل عليـه سيدي لما بلغـه عنـه مـن شـدَّة الجـزع؛ ليُعزِّيـه ويـأمره بالصـبر والرضـاء بالقضـاء، وهي مُسجاة بين يـدي الحـاكم بثـوبٍ، فعـزَّاه وصبَّره، فلَم يُفِد فيه ذلـك، وأكـبَّ علـى قـدم سيِّدي الشيخ يُقبِّلُها، وقال: يا سـيدي! إن لَـم يُحي الله هـذه مـتُّ أنـا أيضـاً، ولَـم تبـق لـي عقيدة في أحد، فكشف سيِّدي وجهَها، وناداها باسـمِها، فأجـابته: لبَّيـك! وردَّ اللـهُ روحَهـا، وخرج الحاضرون، ولَـم يَخـرج سـيدي الشـيخ حتى أكلتْ مع سيِّدها الهريسةَ، وعاشت مـدَّة طويلة!!!

وعن الأمير مرجان أنَّه قال: كنتُ في نفـرٍ من أصحاب لـي فـي محطَّـة صـنعاء الأولـى، فحمـل علينـا العـدوُّ، فتفـرَّق عنِّـي أصـحابي، وسـقط بـي فرسـي لكـثرة مـا أُثخـن مـن

الجراحـات، فـدار بِـي العـدوُّ حينئـذٍ مـن كـلِّ جانب، فهتفتُ بالصالِحين، ثـمَّ ذكـرتُ الشـيخ أبا بكر رضي الله عنـه، وهتفـتُ بـه، فـإذا هـو قائمٌ، فوالله العظيم! لقد رأيتُه نهاراً وعـاينتُه جهاراً، أخذ بناصيتِي وناصية فرسـي، وشـلَّنِي من بينهم حتى أوصَلَنِي المحطة، فحينئذ مات الفرس، ونجوتُ أنـا ببَرَكتِـه رضـي اللـه عنـه ونفع به!!!

وعـن المُريـد الصـادق نعمـان بـن محمـد المهـدي أنَّـه قـال: بينمـا نحـن سـائرون فـي سفينةٍ إلى الهند، إذ وقـع فيهـا خـرقٌ عظيـمٌ، فأيقَنوا بالهلاك، وضـجَّ كـلٌّ بالـدعاء والتضـرُّع إلى الله تعالى، وهتف كلٌّ بشيخِه، وهتفتُ أنا بشيخي أبي بكر العيدروس رضـي اللـه عنـه، فأخذتنِي سِنَة، فرأيتُه داخـل السـفينة، وبيـده منــديلٌ أبيــض، وهــو قاصــدٌ نحــو الخَــرْق،

فانتبهتُ فرحاً مسروراً، ونـاديتُ بـأعلى صوتِي: أنْ أَبشِروا يا أهل السفينة! فقـد جاء الفرَج، فقالوا: ماذا رأيتَ؟ فأخبرتُهم، فتفقَّـدوا الخَـرْقَ، فوجـدوه مسـدوداً بمنـديل أبيض كما رأيتُ، فنجونا ببركته رضي الله عنه ونفع به!!!)) اهـ.

ومُجـرَّد ذكـر هـذه الحكايـات يُغنِـي عـن التعليق عليها!!

ومؤلِّف هذا الكتاب، القائلُ فيه هـذا الكلام من أهـل القـرن الحـادي عشـر، ولكـلِّ قـومٍ وارث!

فأهل السُّنَّة والحديث يَرثون رسولَ الله وأصـحابَه الكـرام، والخرافيُّـون يَرِثـون أهـلَ الخُرافة!

وقول هذا القائل عن كرامـات العيـدروس

أنَّهـا (كقطـر السـحاب، لا تُـدرك بِعـدٍّ ولا حسـاب!!) قـد لا يسـمع مسـلمٌ مثـلَ هـذه العبارة في كرامات أبي بكـر الصـديق رضـي الله عنه، وهو سيِّدُ الأولياء، وخيرُ أمَّة محمد التي هي خيرُ الأُمم.

وأمَّـا الحكايـات الثلاث المزعـوم أنَّهـا كرامـات العيـدروس فهـي مِـن المُضـحكات المُبكيات!

مُضحكاتٌ لشدَّة غرابتِها! ومُبكيـاتٌ؛ لأنَّهـا تـدلُّ بوضـوح علـى مـدى تلاعـب الشـيطان بالمفتونين بأصحاب القبور!!

وقد قال ابـن كـثير رحمـه اللـه: ((وأصـل عبـادة الأصـنام مـن المغـالاة فـي القبـور وأصـحابها، وقـد أمـر النَّبِـيُّ بتسـوية القبـور وطمسها، والمغالاةُ في البَشر حرام)).

والحكايةُ الأولى من الحكايات الثلاث فيهـا أنَّ الرَّجلَ الذي ماتت أمُّ ولده أكبَّ على رِجل العيدروس يُقبِّلُها، قـائلاً: ((يـا سـيدي! إن لَـم يُحيِ الله هـذه مـتُّ أنـا أيضـاً، ولَـم تبـق لـي عقيدة في أحد!!

فكشـف سـيِّدي وجهَهـا، وناداهـا باسـمِها، فأجابته: لبَّيـك! وردَّ اللهُ روحَهـا ... وعاشـت مدَّة طويلة!!!)).

واللـه عـزَّ وجـلَّ يقـول: {**فَـإِذَا جَـاءَ أَجَلُهُـمْ لاَ يَسْـتَأْخِرُونَ سَـاعَةً وَلاَ يَسْـتَقْدِمُونَ**}، ومَـن مـات قـامت قيامتُه،والإنسانُ في الدنيا له حيـاةٌ واحـدة، لا حياتان أو أكثر، قال اللـه عـزَّ وجـلَّ: {**كَيْـفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُـمْ أَمْوَاتًـا فَأَحْيَـاكُمْ ثُـمَّ يُمِيتُكُـمْ ثُـمَّ يُحْيِيكُـمْ ثُـمَّ إِلَيْـهِ تُرْجَعُونَ**}.

وأمَّا الحكايتان الأخريان، فإنَّ فيهما دعاءَ غير الله، والاستغاثة به عند الشدائد، والله يقول: {**أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**}!!

وأمَّا حياةُ الموتى، فإنَّ مَن زعم الكاتب نُصحَهم يؤمنون بأنَّ للموتى في قبورهم حياةً برزخيَّةً، الله أعلم بكيفيتها، وليست شبيهةً بالحياة الدنيا، ولا بالحياة بعد البعث، وفيهم المُنعَّمون في قبورهم والمعذَّبون فيها، والنعيمُ والعذابُ للروح وللجسد؛ لأنَّ الإحسانَ حصل منهما جميعاً، والإساءةَ حصلت منهما جميعاً.

وهم أيضاً لا يُحكِّمون العقل في الأمور الغيبيَّة، بل التعويلُ عندهم على النصوص الشرعية، وعندهم أنَّ العقلَ السليم لا يُخالف النقلَ الصحيح، ولشيخ الإسلام في ذلك كتابٌ

واسع، هو درء تعارض العقل والنقل.

* * *

20 ـ للكاتب شغفٌ عظيمٌ بالآثار المكانية التي تُنسبُ إلى النَّبِيّ ﷺ، كمكان مولِده ﷺ، والبئر التي سقط فيها خاتَمُه ﷺ، ومكان مَبرك ناقته ﷺ في قباء عند قدومِه في هجرتِه ﷺ إلى المدينة، وغير ذلك.

ويَعتِب بشدَّة على مَن زعم نُصحَهم؛ لعدم الاهتمامِ بذلك والمحافظةِ عليه، ويستدلُّ للمحافظة على مثل هذه الآثار بقوله تعالى: {**وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**}، وبِما جاء في قصَّة طالوت: {**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ المَلاَئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم**

مُؤْمِنِينَ}.

قال: « وقال المفسِّرون: إنَّ البقيَّةَ المذكورة هي عَصاة موسى ونعليه (كذا) و... إلخ ».

وبالإشارةِ إلى الأحاديث الصحيحة الواردة فيما يتعلَّق بآثار النَّبِيِّ واهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بها المذكورة في ثنايا أبواب صحيح البخاري.

والجواب عن الدليل الأول: أنَّ اتِّخاذ مقام إبراهيم مُصلًّى دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، ولا دلالة فيه للكاتب على المحافظة على الآثار التي ذكرها؛ لأنَّ الآيةَ في اتِّخاذ المقام مصلًّى، ولا يصحُّ القياس عليه.

وأيضاً فإنَّ اتِّخاذ المقام مصلًّى مِمَّا أشار به على

رسولِ الله عمـرُ بـنُ الخطـاب رضـي اللـه عنه، فنزلت الآيةُ في ذلك.

وعمرُ رضي الله عنـه هـو الـذي جـاء عنـه المنعُ من التعلُّـق بمثـلِ هـذه الآثـار؛ لأنَّـه هـو الذي أَمر بقطع الشجرة الـتي حصـلت تحتهـا بيعـةُ الرِّضـوان، ولأنَّـه جـاء فـي الأثـر عـن المعرور بن سُويد قال: ((كنتُ مـع عمـر بيـن مكة والمدينة، فصلَّى بنا الفجـر، فقـرأ {**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ**}، و{**لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ**}، ثمَّ رأى قومـاً ينزلـون فيُصـلُّون فـي مسـجد، فسأل عنهم، فقالوا: مسجدٌ صلَّى فيـه النَّبِـيُّ ، فقال: إنَّما هلك مَن كان قبلكم أنَّهم اتَّخذوا آثارَ أنبيائِهم بِيَعاً، مَن مرَّ بشيءٍ من المسـاجد فحضرَت الصلاة فليُصلِّ، وإلاَّ فلْيَمضِ))، رواه عبد الرزاق (2/118 ــ 119)، وأبـو بكـر بـن أبي شيبة (2/376 ـ 377) بإسنادٍ صحيح.

والجوابُ عن الدليل الثاني: أنَّ البقيَّةَ المذكورة في الآية لو صحَّ تفسيرُها بِما ذُكر، فإنَّه لا دلالة فيها على التعلُّق بالآثار؛ لأنَّ النَّهيَ عن التعلُّق بالآثار ثبت عن عمر، كما مرَّ آنفاً، وفيه: ((إنَّما هلك مَن كان قبلكم أنَّهم اتَّخذوا آثار أنبيائِهم بِيَعاً))، وقد قال ﷺ: ((فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تَمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ)).

والجواب عن الدليل الثالث: أنَّ الأحاديث الواردة في صحيح البخاري وغيره تدلُّ على تبرُّك الصحابة بعَرَق النَّبِيِّ ﷺ وفَضل وَضوئه وشعرِه، وغير ذلك مِمَّا مَسَّ جسدَه ﷺ، وكلُّ ذلك ثابتٌ، وقد حصل للصحابة رضي الله عنه وأرضاهم.

وأمَّا الآثار المكانيَّة، فقد مرَّ في أثر عمر

رضي الله عنه ما يدلُّ على منع التعلُّق بها.

ونَهيُ عمر رضي الله عنه عن التعلُّق بآثار النَّبِيِّ ﷺ المكانيَّة التي لَم يأتِ بها سُنَّةٌ عن رسول الله ﷺ، إنَّما كان لِما يُفضي إليه ذلك من الغلُوِّ والوقوع في المحذور.

ومِمَّا يُوضِّح ذلك أنَّ الكاتبَ ــ وقد افتُتِن بالآثار ـ أدَّاه افتتانُه بها إلى الإشادةِ بالبناء على القبور، وقد جاء تحريمه في السُّنَّة، وقد مرَّ ذكرُ إشادتِه بمشهد العيدروس بعَدَن، ووصفِه قبَّته بأنَّها مباركة.

بل أدَّاه افتتانُه بالآثار أن عاب على مَن زعم نُصحَهم عدم محافظتهم على أثر مَبرَك ناقة النَّبِيِّ ﷺ، فقال: «كان هناك أثر (مبرك الناقة) ناقة النَّبِيِّ ﷺ في مسجد (قباء) يوم قدومه مُهاجراً إلى المدينة في مكان نزل فيه قوله تعالى: {**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى**

التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ}، فأزَلتُم هذا الأثر، وكنَّا نُشاهدُه حتى وقتٍ قريب!!)).

ويُقال للكاتب: مِن أين لكَ وجود مكان هذا المَبرك، وبقاؤه إلى هذا الزمان؟

إنَّ ذلك لا يتأتَّى إلاَّ لو ثبت أنَّ النَّبِيَّ أحاطه بجدار، وتوارثه الخلفاءُ الرَّاشدون ومَن بعدهم إلى هذا الوقت، وأنَّى ذلك؟!!

ومعلومٌ أنَّ خلافةَ عمر رضي الله عنه تزيدُ على عشر سنين، ومقرُّها المدينة، وهو الذي أمر بقطع الشجرة التي في الحديبية قُرب مكة، وهو الذي نهى عن تتبُّع آثار النَّبِيِّ المكانيَّة التي لَم تأت بها سُنَّة، كما مرَّ في الأثر قريباً، فهل من المعقول أن يَمنَعَ عمرُ رضي الله عنه من آثار بعيدة عن المدينة

ويُبْقِـى علـى أثـر مَـبرك الناقـة الـذي زعمـه الكاتب، وهو عنده في المدينة؟!!

ولَـم يقـف الكـاتبُ عنـد حـدِّ الرَّغبـة فـي المحافظة على الآثار المكانيَّة للرسول التي لَم يأت فيها سُنَّة، بل تعـدَّاه إلـى الرغبـة فـي بقاءِ أثـرٍ وُجـد فـي عصـرٍ متـأخِّرٍ، فقـال وهـو يعِيبُ مَن زعم نُصحَهم: ((وهدَمتُم بجوار بيتِ أبي أيُّـوب الأنصـاري رضـي اللـه عنـه مكتبـةَ شيخ الإسلام (عارف حكمت) المليئة بـالكتب والمخطوطـاتِ النَّفيسـة، وكـان طـرازُ بنائهـا العثماني رائعاً ومُمَيَّزاً!! هدمتُم كلَّ ذلـك فـي حين أنَّه بعيدٌ عن توسعةِ الحرَم، ولا علاقةَ لـه بها!!)).

وهذه نتيجة الشَّغَف بالآثار!

وموقـعُ المكتبـة المُشـار إليهـا بينـه وبيـن

الجـدار الأمـامي لمسـجد الرسـول بضـعةُ أمتار، وهو الآن ضمن ساحات المسجد.

والكتب التي فيها، الاستفادةُ منهـا قائمـةٌ؛ لأنَّ المكتبات الموجودة بالمدينة ـ ومنها هـذه المكتبة ــ جُمعـت فـي مكتبـة واحدة قـرب المسجد النبوي، وهي مكتبة الملـك عبـد العزيز.

هـذا ولَـم يقِـف الكـاتبُ عنـد حـدِّ العتـب واللَّوم لِمَن زعـم نصـحَهم؛ لعـدم المحافظـة على الآثار المكانية للنَّبِيِّ الـتي لَـم تـأتِ بـه سُنَّة، بل تعـدَّاه إلـى وصـفِهم بـأنَّهم يكرهـون النَّبِيَّ !

ولا أدري هل شَعر الكاتبُ أو لَـم يشـعُر أنَّ مَن يكره الرَّسولَ لا يكون مسلماً، بل يكون كافراً؟!

وسبق للكاتب أنَّ مَن زعم نُصحَهم يتَّهمون المسلمين بالشرك، وأنَّهم يُكفِّرون الصوفيَّة قاطبة، وأنَّهم يُكفِّرون الأشاعرة، وذلك كذبٌ عليهم، وهم برآء منه، وهنا يصف مَن زعم نصحَهم ــ زوراً وبُهتاناً ــ بأنَّهم يكرهون النَّبِيَّ ، ولا شكَّ أنَّ ذلك كفرٌ، نعوذ بالله من الكفر والشرك والنفاق.

ثمَّ مِمَّا ينبغي أن يُعلَم أنَّ الصحابةَ الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم ومن تبعهم بإحسانٍ لَم يكونوا يذهبون إلى الآثار المكانية التي لَم يأت بها سُنَّة، كمكان مولده ، ومكان مَبْرَك الناقة المزعوم، ولو كان خيراً لسبقوا إليه.

فلَم يكونوا يحافظون على مثل هذه الآثار، وإنَّما كانوا يحافظون على آثارٍ أُخرى، وهي الآثارُ الشرعيَّةُ التي هي حديثُه المشتمل

على أقواله وأفعاله وتقريراتـه ، ويحـافظون علـى فعـل السُّـنن وتـرك البـدع ومحـدثاتِ الأمور، ولقد أحسن مَن قال:

دينُ النَّـبِيِّ مُحـمَّـد أخـبـــارُ نــعم المـطــيَّةُ للـفتى آثــارُ

لا ترغَبنَّ عـن الحــديث وأهلِـه فـالرأيُ ليْـلٌ والحديثُ نهارُ

ولَرُبَّمـا جهـل الفـتى أثـرَ الهُـدى والشَّـمسُ بازغَةٌ لَها أنـوارُ

وقال آخر:

الفقهُ في الدين بالآثار مقتـرنٌ

فاشـغَل زمانَـك في فقهٍ وفي أثَرِ

فالشُّغلُ بالفقه والآثار مرتفعٌ

بقاصد الله فوق الشمس والقمرِ

* * *

21 ـ ومقدِّمة الدكتور البوطي

لأوراق الأستاذ الرفاعي تشتمل على الثناء على الرِّفاعي، وموافقته على كلِّ ما في نصيحتِه المزعومة المسمومة، وعلى وَصْفها بأنَّها (تذكرة هادئة، ولطيفة في أسلوبها!!).

وتشتملُ على الغلوِّ في الآثار المكانيَّة التي لَم يأت بها سنَّة عن رسول الله ﷺ، بل وزعم أنَّ القرون الثلاثة وما بعدها إلى هذا الوقت مُجمعةٌ على التبرُّك بهذه الآثار، وأنَّه لَم يُخالِف في ذلك إلاَّ علماء نجد المزعوم نُصحهم، وأنَّ ذلك بدعة.

ومن قوله في ذلك: « ولا نشكُّ في أنَّهم يعلمون كما نعلم أنَّ عصورَ السلف الثلاثة مرَّت شاهدة بإجماع على تبرُّك أولئك السلف بالبقايا التي تذكِّرهم برسول الله ﷺ، من دار ولادتِه، وبيت خديجة رضي الله عنها، ودار

أبي أيوب الأنصاري التي استقبلته فنزل فيها في أيامه الأولى من هجرتِه إلى المدينة المنورة، وغيرها من الآثار كبئر أَريس، وبئر ذي طوى، ودار الأرقم ... ثم إنَّ الأجيالَ التي جاءت فمرَّت على أعقاب ذلك كانت خيرَ حارسٍ لَها، وشاهد أمين على ذلك الإجماع ».

وتشتملُ أيضاً على اتِّهام المزعوم نُصحهم بـ « تكفير سواد هذه الأمة بحجَّة كونهم أشاعرة أو ماتردِيين! ».

وتشتملُ أيضاً على الإنكار على علماء نجد في تحذيرِهم من الغلُوِّ في رسول الله ﷺ، ويُفرِّق بين الغُلُوِّ والإطراء، فيَمنعُ الإطراءَ ويُجيزُ الغلُوَّ، قال: « ولو قلتُم كما قال رسول الله ﷺ: (لاتطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم) لكان كلاماً مقبولاً، ولكان ذلك نصيحةً غاليةً.

أمَّا الحبُّ الذي هو تعلُّق القلب بـالمحبوب على وجه الاستئناس بقُربِه والاستيحاش مـن بُعـده، فلا يكـون الغلـوُّ فيـه ــ عنـدما يكـون المحبوب رسول الله ـ إلاَّ عنواناً على مزيدِ قُربٍ من الله!! وقد علمنا أنَّ الحبَّ في اللـه من مُستلزمات توحيد الله تعـالى، ومهمـا غلا مُحبُّ رسول الله في حُبِّه لـه أو بـالَغ، فلـن يصِل إلى أَبعد من القَدْر الذي أَمر بـه رسـول الله !!! إذ قال فيما اتَّفق عليه الشيخان: (لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحـبَّ إليـه مـن مـالِه وولدِه والناس أجمعين)، وفي رواية للبخاري: (ومن نفسه))).

والجواب: على ذلك أن نقول:

أولاً: أمَّـا ثنـاء البـوطي علـى الرفـاعي فيصـدق علـى المثنِـي والمثنَـى عليـه قـول الشاعر:

ذهب الرِّجال المُقتدَى بفعالِهم
والمنكـرون لـكلِّ فعل منكرِ
وبقيتُ في خَلْف يُزكِّي بعضُهم
بعضاً ليدفع معور عن معورِ

ثانياً: إنَّ وصفَ البوطي لنصيحة الرِّفاعيِّ المزعومة بـــ (أنَّهـــا تـــذكرة هادئـــة، وأنَّهـــا لطيفـــة فـــي أسلوبها!!) بعيدٌ عن الحقيقة والواقـع؛ يتَّضـحُ ذلك بالوقوف على بعض الجُمل التي أوردتُهـا من كلام الرِّفاعيِّ، ففيها الكذب والجفاء.

ثالثاً: وأمَّا موافقتُه للرِّفاعي فيما جاء في أوراقـه، فـإنَّ كـلَّ مـا تقـدَّم فـي الـردِّ علـى الرِّفاعي هو ردٌّ على البوطي.

رابعاً: وأمَّـا إجمـاع العصـور الثلاثـة ومـا بعدها الذي زعمه البوطي علـى التـبرُّك بآثـار

النَّبِيّ المكانيَّة، كمكـان مولـدِه وبئـر أريـس التي سقط فيها خاتَمُه ونحو ذلك، فلا يتـأتَّى له إثبات هذا الإجماع، بل ولا إثبات القـول بـه عن واحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم!

وأيُّ إجماعٍ يُزعمُ من الصحابة ومَن بعدهم على ذلك، وقد جاء عن عمر رضـي الله عنـه الأمـر بقطـع شـجرة بيعـة الرضـوان فـي الحديبية قرب مكة، وجاء عنـه أيضـاً التحـذيرُ من التعلُّق بمثل هذه الآثار، وقال: ((إنَّما هلك مَن كان قبلكم أنَّهم اتَّخذوا آثـار أنبيـائهم بِيَعـاً))؟! كما مَرَّ ثبوت ذلك عنه فـي مصـنَّفي عبـد الرزاق وابن أبي شيبة.

خامساً: وأمَّا زعمه بـأنَّه لَـم يُخـالف هـذا الإجماعَ المزعوم إلاَّ علماءُ نجد، فغيرُ صحيح؛ لأنَّ كلَّ متَّبع للكتـاب والسُّـنَّة ومـا كـان عليـه

سلف الأُمَّة يقول بهذا الذي ثبت عن عمر رضي الله عنه، وهم في هذا العصر كثيرون، منتشرون في الأقطار المختلفة، ومنها الكويت والشام التي منها الرفاعي والبوطي!

سادساً: وأمَّا زعمه أنَّ المزعومَ نُصحهم يُكفِّرون سوادَ الأُمَّة بحُجَّة كونهم أشاعرةً أو ماتريديِّين، فهو كذبٌ منه وافتراءٌ، كما أنَّه كذبٌ وافتراءٌ من الرفاعي، وقد مرَّ الردُّ عليه.

وأزيد هنا فأقول: إنَّ الفِرَقَ الواردةَ في قوله ﷺ:

« ستفترِقُ هذه الأُمَّة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلاَّ واحدة ... » الحديث، هم من المسلمين؛ لأنَّ أُمَّةَ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتان: أمَّة الدعوة، يدخل فيها اليهود والنصارى، وكلُّ إنسيٍّ وجِنِّي من حين بِعثة الرسول ﷺ

إلى قيام الساعة.

وأمَّةُ الإجابة: وهم الذين دخلوا في هذا الدِّين، وفيهم الفِرق المذكورة في الحديث، وكلُّ هذه الفِرَق مسلمون مُستحقُّون للعذاب بالنَّار، سوى فرقةٍ واحدة، وهي مَن كان على ما كان عليه الرسول وأصحابُه رضي الله عنهم.

سابعاً: وأمَّا تفريقُه بين الإطراءِ والغُلُوِّ، ومَنعُه الأولَ وتجويزُه الثاني، فهو من التفريقِ بين متماثِلَين، وكما أنَّ النَّهيَ جاء عنه عن الإطراء، فإنَّ الغُلُوَّ جاء فيه النَّهيُ عن الله وعن رسوله ، قال الله عزَّ وجلَّ: {**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**}، وقد لَقَطَ ابنُ عبَّاسٍ لرسول الله حصَى الجِمار، وهنَّ مثل حصى الخذف، فأمرهم أن يَرموا بمِثلِها، قال: « وإيَّاكم والغُلوَّ في الدِّين، فإنَّما

أهلَكَ مَن كان قبلكم الغلُوُّ فـي الـدِّين))، وهـو حديث صحيح، أخرجه النسائيُّ وغيرُه.

ومعلومٌ أنَّ مَحبَّـةَ النَّبِـيِّ يجـبُ أن تكـون في قلب كلِّ مسلم أعظمَ من مَحبَّتـه لنفسِـه وأهلـه والنـاس أجمعيـن، لكـن لا يجـوز فيهـا الغُلُوُّ الذي قد يُؤدِّي إلى أن يُصرَف إلى النَّبِيِّ شيءٌ من حقِّ الله، كالذي حصل للبوصيريِّ في أبياتِه الـتي أشـرتُ إليهـا فيمـا تقـدَّم فـي الردِّ على الرفاعي.

وليـت شـعري! مـا الـذي سـوَّغ للبـوطيِّ تجويز الغلوِّ في محبَّـة الرسـول ، وهـي مـن أعظم أُسُس الدِّين، وقد قـال فـي الحـديث المتقـدِّم آنفـاً: ((وإيَّـاكم والغلـو فـي الـدِّين، فإنَّما أهلك مَن كـان قبلكـم الغلـوُّ فـي الـدِّين))؟!

* * *

وفي الختام، أقول في النهاية كما قلتُ في البداية: إنَّ الردَّ على الرفاعي إنَّما هو ردٌّ على بعض ما اشتملت عليه أوراقُه، وأنَّ ما ذُكر دليلٌ على ما لم يُذكر.

وأُضيف هنا أنَّني لَم أرَ في نصيحة الرفاعي المزعومة ولا في تقديم البوطي لها مسألةً واحدةً حالفهما فيها الصواب، بل إنَّ هذه النصيحة المزعومة المُؤيَّدة من البوطي هي في الحقيقة فضيحة لهما؛ لاشتمالِها على الكذب الواضح على أهل السنَّة والدعوة إلى البدع والضلال.

وأسأل الله لهما الهدايةَ للحقِّ والعملِ به، والسلامةَ مِمَّا يُخالفه، وأسأله تعالى أن يُوفِّقنا جميعاً لِما فيه رضاه والفقه في دينه،

والسير على ما كان عليه رسوله الكريم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

فهرس الموضوعات

- المقدمة.....3
- التنبيه بين يدي الردِّ على أمور على سبيل الإجمال.....4
- زعم الكاتب أنَّ علماء نجد تخلَّوا عن المذهب الحنبلي والرد عليه.....6
- بيان أنَّ علماء نجد يُعوِّلون على الأدلة ولا يتعصَّبون للمذهب الحنبليِّ.....7
- بيان أنَّ المنصفِين من أصحاب المذاهب الأخرى يُعوِّلون كذلك على الأدلة ولا يتعصَّبون لمذاهبهم.....8
- بيان أنَّ المعوِّلين على الأدلة هم أسعَد الناس باتباع الأئمة؛ لأنَّهم المنفِّذون لوصاياهم باتباع الأدلة.....12
- بيان أنَّ المعوِّلين على الأدلة يوافقون الأئمة الأربعة في العقيدة ويستفيدون

منهم في الفروع بخلاف غيرهم.....13